

الصَّوْفِيَّةُ وَالْفَقَهُاءُ

في اليمن

تأليف

عبد الله محمد الحبشي

مكتبة الجيل الجديد

صنعاء

الصُّنُوفُ والفَقَرَاءُ في اليمن

تأليف

عبد الله محمد الحبشي

صفحة المكتبة التاريخية اليمنية

<https://m.facebook.com/Yemeni.historical.library>

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

وبعد فإن إهتمامى بنزاع الصوفية والفقهاء في اليمن وهو موضوع هذا الكتاب مرده إلى سببين .

أولهما : الأهمية العلمية للحصيلة الفكرية التي خلفتها معارك الصراع بين الصوفية والفقهاء في اليمن إذ أن أبطال هذه المعارك كانوا من خيار القوم وخاصة الفقهاء المتصوفون منهم تلك المعارك التي اتخذت شكل الفر والكر ولم يدم فيها النصر لهذا الفريق أو ذاك أظهرت معالم النزاع وحددت ملامح القضايا التي دارت فيها حلبة الصراع وصعبت الحصيلة الفكرية من الثقافة بالوان الفقهية والصوفية .

ثانيهما : أن هذا النزاع غطى فترة زمنية ليست بالقصيرة في تاريخ اليمن والذي أعطى هذا الجانب أهمية أن آثار هذا النزاع لم تقتصر على النواحي الفكرية فحسب وإنما تعدتها إلى الناحية السياسية ذلك لأن الولاة كانوا هم قادة هذه المعارك وكان موقعهم هو الذي يرجح هذا الفريق أو ذاك وإلى لارجو أن الون بهذا الجهد المتواضع قد أسهمت في إعطاء صورة وإن كانت مختصرة عن ذلك الصراع وإبطاله وآثاره كما أرجو من الله أن يوفقني ويوفق

غير العودة إلى هذا الموضوع وإعطائه الأهمية التي يستحقها من القراءة
والتحصيل واستخلاص ما يفيد هذه الأمة ويعمق جوارحها لكي تتطرق إلى
المستقبل بفكر ورعي وأصالة تقيها من مآوى الانزلاق والتردى في أعمال
التقليد الأعمى ولا أنسى بهذه المناسبة أن أشكر مكتبة الجيل الجديد القراء
لما بذلته من جهد في سبيل طبع هذه الدراسة للتواضعة وإخراجها إلى حيز
الوجود راجيا المولى أن ينفع بها .

وأخردعونا إن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

فهرس أبواب الكتاب الرئيسية

- ١ — في التصوف اليمني وتاريخه .
- ٢ — مدرسة ابن عربي في التصوف اليمني .
- ٣ — النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن .
- ٤ — أحداث النزاع التاريخية .

في التصوف اليمني وتاريخه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ التصوف من خلال أعلامه

دخل التصوف الإسلامي اليمن من خلال الزهد الذي دعا إليه الإسلام وكتابه العظيم وقد كان التصوف نتيجة حتمية لما انتهى إليه القوم من الإغراق في العبادة والتقشف . هل أننا لا نريد أن نعود بالتصوف في اليمن إلى أصول ترجع إلى ما قبل الإسلام كما هي العادة عند أكثر الباحثين في مثل هذه الدراسات، إذ التصوف إذا كان من حيث هو زهد وعبادة وتقشف فهو معروف عند أكثر الأمم وهو من حيث مادته ظاهرة إنسانية عامة لا تنفرد بها أمة من دون أمة . وإنما نغني بالتصوف هنا هذا الذي وصلنا في صورته الإسلامية بما له من أتباع وتقاليد وآداب .

وقد كانت البداية للتصوف في اليمن بداية بدوها التعميم والشمول فلا نستطيع أن نحصرها في شخص واحد نسمه بصيغة التصوف وإنما هي في صفة جماعية يشترك فيها كثير من القوم . وقد تفشت صيغة التصوف خلال القرن الأول الإسلامي وكان أهل اليمن هم أكثر الناس معرفة لحقيقة الإسلام وما أتى من أخلاق تركت آثارها في نفس المسلم اليمني ولا غرابة في ذلك وقد تفرس رسول البشرية هذه الظاهرة في أهل اليمن فقال (أناكم أهل اليمن هم أهل قلوباً

وارق أفندي الايمان بمان والحكمة بما فيه (١) وهذه الرقة التي عندها الرسول
صل الله عليه وسلم هي بكرة التصوف في النفس البشرية .

ومع كثرة المتصرفين من الرهبان الأول في اليمن سنكون مضطرين إلى تبين
بعض الأشخاص - حتى لا يطول البحث - فمن هؤلاء جماعة من الصحابة رضوان
الله عليهم من الذين يرجعون بأنسابهم إلى أصول بنية كافي موسى الأشعري الذي
ولد ببادي زيد وكان من زعمه وعبادته أنه ساهل معاذ بن جبل كيف تقرأ
القرآن فقال أفرؤه في صلاتي وعلى راحتي ومضطجعاً وقائماً وقاعداً أقوته
فربما (٢) . ويقال أنه صام حتى أصبح كأنه خلال فقبل له لو أرحمت نفسك فقال
ميتاً إنما يسبق من الخيل المضرة . ومن وعظه قوله (أيها الناس أبكوا فإن
لم تبكوا فنبأ كوا فإن أمل النار سيكون الدموع حتى تقطع ثم سيكون الدماء
حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت) توفي رضي الله عنه سنة ٤٤ هـ .

ومن زهاد اليمن في عصر الصحابة الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن
ابن صخر كان من دؤوس وولاه باليمن ونظماً يلقباً فرسل إلى المدينة ولحق النبي
صل الله عليه وسلم وكان يقول (كنت أعتد بكبدى على الأرض من الجوع
ولم كنت أشد على بطن من الجوع) وقد ظلت نزعة العبادة والزهد ملازمة
له حتى آخر أيامه ومن طريق ما يذكره أنه ولده عمر بن عبد العزيز على
لحاجة البحرين ثم رآه ابن المبركة مغفولاً بالعبادة فعزله وطلبه بعد زمن من
الزول وتوفي سنة ٨٩ هـ (٣) .

(١) أنظر هذا الحديث وتخرجه في تاريخ سنن الرازي ص (٦) (هاشم) .

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي : صفة الصفوة .

(٣) إراجع له ترجمته كتاب . تاريخ سنن أعلام النبلاء للذهبي مرآة الجنان لبياسي
وفيها .

وبأنى يمد طبقة الصحابة جماعة من الأخيار افتقروا آثار السلف حتى سموا
بالتابعين لاتباعهم لهم وكان اليمن من هذه الطبقة نصيب وافر من الرجال
لا يزالون الثبراس المضيء لذلك الاسلامي الخالص في صورته الحقيقية بعيداً عن
المؤثرات الخارجية . فمن طبقة التابعين عمرو بن ميمون الأودي الذي أدرك
جماعة من صحابة الرسول (وكان عابداً زاهداً معدوداً في الأولياء) ويقال أنه
سج مائة مرة ما بين حجة وعمره وهو من حضرموت توفي سنة ٧٥ بالكوفة (١)

وعلى رأس هذه الطبقة التابعي الجليل طاووس بن كيسان أشهر رجال
اليمن في هذه الفترة وقد ترجم له كل من عنى بأخبار الزهاد والأتقياء . وما
ذكره أنه كان عليه ضريبة يؤديها على أرضه في كل عام فقبل له أن الوالي
سيرفع عنه الضريبة فقال لهم وهل سيرفعها عن غيره فقبل له لا فاني ذلك
فكان يؤديها كل سنة ومن أقواله الوعظية قوله محذراً من السلطان (لا تنزلك
حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجاباً ولكن أنزلها عن باب مفتوح
لك إلى يوم القيامة) ومن أقواله (الاسلام شجرة أصلها الشهادة ونثمرها الورع
ولا خير في شجرة لا ثمر لها ولا خير في إنسان لا ورع له) . ويؤثر عن طاووس
البعد عن المذاهب الطارئة كمذهب الخوارج والمعتزلة وغيرهما توفي سنة ١٠٦ هـ (٢)

ومن عباد اليمن وزهادها في هذه الفترة . وهب بن منبه الذي كان من كبار
التابعين أدرك جماعة من الصحابة ورحل إلى مكة فلقى هناك شهرة واسعة ومن
أخلاقه التي تدل على علو طبقة في الزهد والعبادة أنه جاءه رجل فقال له أني

(١) ترجمته في طبقات الخوارج ص ١٠٢ .

(٢) أنظر ترجمته في تاريخ سنن أعلام النبلاء للذهبي ص ٣١٨ وصلة الصفوة ج ٢ ص ١٦٠ والخوارج

ص ٦١ وفيه .

صممت فلاناً يحنك فضب وقال لم يجد الشيطان رسولا الى غيرك . ويقال انه صلى الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة ومن أقواله (الايمان هربان ولباسه التقوى وزينة الحياء ، توفي سنة ١٢٠هـ^(١) .

ويذكر صاحب تاريخ صنعاء جماعة من زهاد اليمن خلال القرنين الثاني والثالث منهم محمد بن بسطام الصنعاني كان زاعدا يعمل الخوص ويفطر على قرص شعير يخلط معه الرماد إذا عجز فياً كل من عمل يده ذلك القرص ويتصدق بما بقي من عمل يده^(٢) .

في القرن الخامس

في القرن الخامس تطالما عدة أسماء من أعلام التصوف في اليمن أكثرهم من المناطق المحاذية للاحية تهامة ومدينة تمر كالصوفي الجليل أبو محمد سود بن الكبيش الذي كان سبب تحوله إلى التصوف حادثة وقعت له فمال إلى التصوف واعتزل الدنيا (وكانت الدنيا تأتيه من غير قصد وهو مطرح لها ومتخل عنها ولا يأكل إلا مع أصحابه في المسجد توفي سنة ٤٣٦هـ^(٣) .

القرن السادس

أما في القرن السادس فقد ظهر جماعة من الصوفية عرفوا بالفقه واشتهر شأنهم في كلا المجالين فأنت تجد ترجماتهم في طبقات الفقهاء كما تجد ما في الكتب التي أرخت للصوفية ولا تفسير لهذه الظاهرة سوى أن التصوف ظل مندرجا في

العلوم الإسلامية الأخرى ولم تعرف له تميزا يذكر إلا عندما أصبح له معلمة وشعاراته المتميز بها أصحابه عن سائر أهل المذاهب وذلك في القرن السابع على الرغم من أن الصوفية في خارج اليمن قد بدأوا يتفردون عن سواهم منذ القرن الثالث كما رأينا ذلك في العراق والشام ومصر ، وعمل كل فأمامي هذه أسماء من أعلام التصوف في اليمن جمعت بين الفقه والتصوف من هؤلاء زيد بن عبد الله اليفاعي المتوفى سنة ٥١٤هـ^(١) ومنهم عبد الله بن يزيد القسيمي المتوفى ٥٢٦هـ^(٢) وهشرو بن عبد الله السري^(٣) المتوفى سنة ٥٥٠ هـ بصفه التخرجي بقوله الفقيه العالم الصالح الزاهد الخ . . . ومن أشهر الصوفية في هذا القرن، الصوفي الكبير أبي العباس أحمد بن أبي الحبر الصياد^(٤) ، كان في هداية أمره رجلا هاميا من جملة عوام مدينة زبيد فبينما هو نائم في بعض الاوقات إذ أناء آت فقال قم يا صياد فصل ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف وصحب الشيخ ابراهيم الفضلي وله أخبار كثيرة في العبادة والزهد من ذلك ما ذكره التخرجي أنه حصلت له غيبة وهو ساجد في بعض البراري فأقام كذلك ساجدا لا يتحرك ولا يشعر بشيء فما أفاق الا وتلفت عينه إلى آخر ما ذكره عنه توفي سنة ٥٧٩هـ .

القرن السابع

في هذا القرن نبغ جماعة من صوفية اليمن كان لهم الأثر الجيد في إبراز التصوف وإظهار هويته من بين سائر الطوائف الأخرى في المجتمع اليمني وقد برز

(١) ترجمته في بن سره ص ١١٩ والجندي والحواس ص ١٢٢ والفقه الشين ج ٤ ص ٤٨٠ .

(٢) الحواس ص ٧٦ .

(٣) الحواس ص ١٠٧ .

(٤) الحواس ص ١٧ والجندي والتخرجي وتاريخ شرع ورسالة الجنان ج ٤ ص ٣٥٨ وتعليقه ابراهيم بن بشار كتابا في مناقبه .

(١) له ترجمات في عدة كتب منها المجلد لأبي نعيم ج ٤ ص ٧٣ وتاريخ صنعاء للرازي ص ٣٦٧ وصلة المغيرة لابن الجوزي ج ٢ ص ١٦٥ والحواس ص ١٦٣ .

(٢) الرازي : تاريخ صنعاء ص ٣٠٤ .

(٣) أنظر ترجمته في الجندي والتخرجي والحواس .

فيه خلال هذه الفترة الصوفي الجليل علي بن عمر بن محمد الاهدل وهو أول
 المتصوفين من أهل هذا البيت الصغير بنو ابي (١) وقد كان جده الأول قد انتقل
 من العراق إلى اليمن واستقر بها أما حفيده هذا فقد كان له شأن كبير وقد عني
 بأخباره كثير من المؤرخين (٢) ومن رجال هذا القرن من الصوفية عيسى بن إقبال
 الختار كان صاحب مقامات وكرامات كثيرة وله في الإصلاح الاجتماعي الفقه
 الكبير توفي سنة ٦٠٦ (٣) ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحكيم عرف
 بصاحب حواشي وقد رافقه في تصوفه الشيخ محمد بن حسين البجل حتى مرقا
 صاحب حواشي . توفي سنة ٦١٧ (٤) .

وجبة أعلام هذا القرن من الصوفية هم :

— الصوفي ابراهيم بن علي الفاضل اشتغل في أول أمره بطلب العلم ثم تحول
 إلى التصوف فالتفت عنه كرامات وأقوال في التهذيب وعمل يديه في الصوف
 الشيخ الشيخ أحمد الصياد توفي ٦١٣ (٥) .

(١) أنظر ما كتبه حول هذه الأسرة في مجلة العرب العدد ١٦ لسنة ٦ ذي الحجة
 سنة ١٣٩٥ .

(٢) من مؤلفاته حفيد محمد بن أحمد الأهدل الذي توفي سنة ١٢٩٨ له كتاب بعنوان النهج
 الأصل في ترجمته الشيخ علي الأهدل طبع في الهند سنة ١٢٨٧ ومنهم عبد الله المكي له كتاب
 في مناقب خطوط الإمامة الراس وأنظر ترجمته في المندى وطرار أعلام الزمن للشيخ جني
 ونقطة الزمن للأهدل والمخواس ص ٨٠ وفيه عند المؤرخين أن وفاته سنة ٦٩٠ (أنظر
 الطود للأولوية ج ١ ص ٢٦٧) .

(٣) المخواس ١٠٩ وأنظر ترجمته في المندى وطرار أعلام الزمن ونقطة الزمن .
 (٤) المخواس وأنظر ترجمته في المندى وطرار أعلام الزمن وتاريخ العلم وطبوط (خطوط)
 (٥) المخواس ص ٦ وأنظر ترجمته في السكتب المقار لأبيها ساجاً .

— الشيخ جومر بن عبد الله عاش بمدينة عدن وظل شيخه سعد الحداد في
 مدينة الصوفية وكان أمياً متراضعاً توفي سنة ٦٢٦ (١) .

— الشيخ الصوفي الكبير أبو الفيت بن جميل ويلقب شمس المومس كان
 أصله من الموالي وقد خرج مع رفقة له لقطع الطريق فوكله أحدهم أن يراقب
 قافلة قادمة فسمع صائفاً يقول له يا صاحب العين عليك العهن فوقع هذا الكلام
 في نفي وكف عن قطع الطريق وقصته هذه نفي قصة الفضيل بن عياض ثم التحق
 بالشيخ علي بن أفلح وحكمه في التصوف وهو أشهر صوفية اليمن في ذلك الوقت
 وقد جمع أحد تلامذته كلامه في مجلد رُغم أنه كان أمياً لا يجيد القراءة ولا الكتابة
 يقول الشرحي عن هذا الكتاب (وهو مجموع في قدر مجلد لطيف وعندي
 لسنة منه) أما الأهدل فيشك في نسبه إليه توفي بن جميل سنة ٦٥١ (٢) .

— الصوفي الكبير أحمد بن حلوان كان أحد أولاد رجال الدولة وتحول إلى
 طريق التصوف كتب تأمير حادثة عجيبة وقعت له وهو من كبار مشاهير الصوفية
 في اليمن وإتباعه لا يزالون إلى الآن توفي سنة ٦٥٥ وله مصنفات كثيرة ودعيوان
 شعر (٣) .

أحمد بن الجعد الأيبي عرف في تصوفه بكثرة الرياضة والعبادة توفي سنة ٦٩٠
 تقريباً (٤) .

- (١) المخواس ٤٦ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٣٤٧ وتاريخ لفر عدن ٢٩ .
- (٢) أنظر ترجمته في مرآة الجنان ج ٤ ص ١٣٦ والمندى (مخطوط) والعمود
 الأولوية ج ١ ص ١٠٧ .
- (٣) المندى (مخطوط) والطود الأولوية ج ١ ص ١٦٠ والمخواس ص ١٩ ومرآة
 الجنان ج ٤ ص ٢٥٧ والتصوف في نهامه ص ٦٩ .
- (٤) المخواس ص ٢٠٦ .

أبو العباس أحمد بن موسى بن هبيل يصفه الشرحى بقوله (التطلب العارف)
وأطب في ترجمته وإليه تسبب قرية يت الفقيه لأنه كان من الصوفية والفقهاء
وله مؤلفات في الفقه توفي سنة ٦٩٦ وعند الخزرجي سنة ٦٩٠ (١).

وهؤلاء هم مشاهير القرن السابع الهجري من صوفية اليمن وهناك غيرهم
من أعلام هذا القرن سجد لهم بإحسان في كتاب الشرحى وغيره من كتب التراجم
اليمنية.

القرن الثامن

ظهر في هذا القرن جمع غفير من صوفية اليمن حيث اكتملت فيه كل
مقومات التصوف ولم يعد الصوفية في هذا القرن متأثرين بعبادات زملائهم من
الفقهاء بل منهم من لم يكتب بمجرد الزهد والعبادة فدخل في مواجيد والمهمات
صوفية قريبة إلى الحقل الفلسفي الذي عرفناه عند الحلاج وابن عربي وإضرابهما.
وسنكتفي هنا بذكر ستة أشخاص فقط لكثرة هؤلاء وتعدد طرقهم منهم.

— أحمد بن عمر الزيلعي القليل عرف بسلطان العارفين واشتغل بالتصوف
وله فيه مصنف بعنوان نعمة الحقيقة ومرشد السالكين إلى أوضح طريقة (٢)
توفي سنة (٧٠٤) (٣).

— أبو بكر بن محمد بن يعقوب بن أبي حريفة توفي سنة ٧١٤ (٤).

(١) الجندي مضبوط والفرود المؤلفة ج ١ ص ٢٥٧ والمواصص ص ١٣.

(٢) مضبوط بالمسكنة الأصنية بالهند.

(٣) الجندي والفرود المؤلفة ج ١ ص ٣٦٥ والمواصص ص ٢٢.

(٤) تحفة الزمن والمواصص ١٧٣ ومرآة أعلام الزمن وتاريخ تفرع عدن ص ٣٠.

— أبو عبد الله محمد بن عمر بن حبيب كان من كبار المتصوفة في اليمن وله
مجموع كلام راق في الحقائق الصوفية وصفه ابن الأعدل بقوله (فيه مقالات
مفيدة وفي بعضها شيء من الشطح) وهو مجموع في مجلد. توفي سنة ٧١٨ (١).

— علي بن عبد الله الطواشي يصفه اليافعي بقوله أنه من الصوفية الذين
جمعوا بين الحقيقة والشرعية (توسع الشرحى في ترجمته) توفي سنة ٧٤٨ (٢).

— عبد الله بن أسعد اليافعي هو الصوفي اليمني الوحيد الذي سارت شهرته
خارج اليمن وانتشرت كتبه في مكة ومصر والشام هاش في عدن وانتقل إلى مكة
مده ثم ارتحل إلى مصر والشام ووصفه ابن بطوطة في رحلته توفي سنة ٧٦٨ (٣).

— طلحة بن عيسى بن إبراهيم الحنار يذكره الفرجي كرامات كثيرة ويقول
أن كراماته بحر لا ساحل له ومن مصنفاته في التصوف كتاب (الطائفة اجتلا
هروس المعارف) توفي سنة ٧٨ (٤).

(١) كفا ضبط وفاته الشرحى وعند الخزرجي أنها سنة ٧٢٠ (واظفر ترجمته في طراز
أعلام الزمن وتحفة الزمن والمواصص ١١٨).

(٢) مرآة الجنان ج ٤ ص ٣١٠ وتحفة الزمن والمواصص ٤٣.

(٣) له ترجمات في عدة كتب منها رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٤٧ وطبقات الشافعية
للسبكي ج ٦ ص ٢٠٣ والاسنوي في طبقات الشافعية ج ٢ ص ٧٢ والقدس الثمين ج ٥.

ص ١٠٤ والدرر السكينة ج ٢ ص ٢٤٣٧ وغريال الزمان للمامري مضبوط والأعدل
تحفة الزمن وتاريخ تفرع عدن ص ١٠٩ وطبقات المواصص ص ٦٧ واليدر الطالع ج ١ ص ٣٨٧.

والتصوف الاسلامي لركي مبارك ج ٢ ص ٢٣٠ وأفرده بالفرجة أبو بكر بن محمد بن سلامة
للوزعي المتوفى سنة ٧٩٠ في مؤلف بعنوان المسلك الارشد في مناقب الشيخ عبد الله بن أسعد.

(٤) انظر صف الظنون ج ٢ ص ١٨٤٥.

(٤) طراز أعلام الزمن وتحفة الزمن والمواصص ٦٢.

ويمثل هذا القرن نضوج التصوف في اليمن واكتمال مذهبه النظري والعمل.

في القرن التاسع

وهذا القرن هو آخر صورة في اكتمال الصوفية مذهبهم بعد أن قوى نفوذ رجاله وأصبحوا يكترون سلطة لها نفوذها بجانب سلطة الدولة وسكنت في هنا بالاشارة إلى بعض منهم .

— أبو بكر بن محمد السراج كان من كبار شعراء الصوفية له ديوان شعر مجموع توفي سنة ٨٠٠ هـ (١).

— أبو بكر بن محمد بن حسان الحضرمي من الصوفية العاملين احترق من الدنيا واخذ يتكسب بعمل يده وله بعض الكرامات أوردتها الشرح في كتابه توفي سنة ٨٠٢ هـ (٢).

— اسماعيل بن أبي بكر الجعفي المتوفى سنة ٨٠٦ كان شيخ الصوفية في عصره (٣).

— أبو محمد عباد بن أبي بكر الناصري المتوفى سنة ٨٢١ كان كبير العبادة والزهد (٤).

— عباد بن عبد الرحمن بن عثمان المقرئ صاحب الصوفي أحمد

(١) الفواص ١٧٥ وديوانه مخطوط بضمه روت .

(٢) نسخة الزمن الفواص ١٧٦

(٣) منقول لك ترجمته في موضوع آخر من الكتاب

(٤) الفواص ص ٧٥ . الفقه اللاعن ج ٥ ص ٥٤

الرهني وكانت لها كرامات شهيرة أورد منها الشرح في كتابه توفي سنة (٨٣٠) (١).

القرن العاشر

يمثل هذا القرن آخر مرحلة بلغها التصوف اليمني في تطوره وبعد ذلك أخذت تطفئ عليه العوامل المتناقضة من ازدهار وسقوط ولعل أبرز علامات ازدهاره تأتي في اشخاص رجاله الذين برزوا في هذه المرحلة ومنهم جماعة من صوفية حضرموت التي سجد التصوف قد لفظ فيها خلال هذه المرحلة واخذت تواصل الحفاظ عليه حتى عصرنا الحديث ومن رجال هذه الفترة :

— الشيخ أبو بكر بن عباد بن العبدروس . كان من اكابر الاولياء واشتهر بالكرم فكان يذبح في سماطه في كل يوم في رمضان نحو ثلاثين كبشا وعندما توفي بلغت ديوانته مائتي ألف دينار وكان يحسن اليه سلاطين الدولة الطاهرية وبعض امراء الصومال توفي سنة ٩١٤ هـ (٢).

— معروف بن عباد بن جمال عرف بتربية المريدين وكان له جاء عظيم وأودى من قبل سلطان بلده لميل الناس اليه توفي سنة ٩٦٩ هـ (٣).

(١) الفواص ص ٧٣

(٢) الف في مناقبه الشيخ عبد الرحمن العبدروس المتوفى سنة ١١٩٣ كتابا في مناقبه بعنوان (الفتح المبين بأفانص العبدروس فخر الدين وترجمته في المشرق الروي ج ٢ ص ٢٤

وشرح النبوة ص ٦٥٩

(٣) الف في مناقبه الشيخ محمد بن عبد الرحمن باجمال المتوفى سنة ١٠٩٩ كتابا بعنوان مواهب البر الزووف في مناقب الشيخ معروف مخطوط وانظر ترجمته في كتاب الثور والافر

ص ٢٧٣

— الشيخ أبو بكر بن سالم له مشاركات في علوم التصوف وقصده الناس الزيادة من أما كن جده توفي سنة ٩٩٢ (١).

في القرون الأخيرة

كثر التصوف بعد القرن العاشر وأصبحنا نجدهم في شتى طوائف المجتمع كما نجدهم في المدن والريف ولا أغال إذا قلت أن نوعة التصوف تغلطت حتى عند جمهور الفقهاء وغدا من المتعذر التمييز بين كل من ترسم بالفقه وسائر العلوم الأخرى ومن عرف بالتصوف ولمل ذلك يعود في أساسه إلى عدم وجود التمييز بين تخصصات العلوم الإسلامية واتجاهاتها وهذا بدوره عائد إلى ركود الثقافة في تلك العصور وطفان الجبل على الناس وعلى الرغم من هذه الكثرة الطاغية فما كنتي بذكر شخصيتين من رجالات التصوف في هذه القرون الأخيرة .

أولهما : الصوفي الكبير حاتم بن أحمد الأمدلي الذي غلب عليه طابع التصوف مع نمكة من عدة علوم وكان يقول الشعر الحزين والفصيح وله ديوان شعر كبير توفي سنة ١٠١٣ (٢).

ثانيهما : عباد الله بن هوى الحداد من أهل حضر موت برع في التصوف والكتابة على أسلوب الغزالي وله مؤلفات في التصوف مطبوعة توفي سنة ١١٣٢ (٣).

- (١) هناك أكثر من كتاب مستقل في ترجمته لعل آخرها كتب الجواهر في مناقب تاج الأكابر لحفيده السيد عباد الله بن أحمد الهادي الطروج في القاهرة أخيراً
(٢) الف في مناقب الشيخ عبد القادر العبدوس كتاباً في مناقب بعنوان (الروض الياسم من مناقب الشيخ حاتم) . مخطوط بالسكك الهندى بلندن ٦٣٨ ل
(٣) وفيه في مناقب كتاباً بعنوان غاية القصد والمراد في مناقب الشيخ عباد الله الحداد الشيخ محمد بن زين بن سميح مخطوط (انظر مراجع تاريخ اليمن ص ٣٣٦

التصوف في نهضة

أغلب الذين عرفتهم اليمن من الصوفية عاشوا في نهضة حيث كانت هذه المنطقة من البلاد المحيية لهم فقد وجدوا فيها الأمن والهدوء مؤثرين العزلة والعبادة في سواحلها وبعيدا عن ضجيج الحياة وفلاقل الحكام وقد كان أحد صوفيتهم — وهو الشيخ أحمد الصياد — (بنى كنزا على السواحل ويرى أنها موره عباد الله الصالحين) (١) .

التصوف في الجبال

وإذا كان التصوف قد انتشر في المناطق السهلية من اليمن فانه قد قل في جباله حتى أصبح من الندرة بحيث يعد رجاله بالأصابع ولا سبب لذلك سوى أن بعض المذاهب التي عرفها اليمن لا ترحب بالتصوف على اعتبار أنه دخيل على الاسلام . وكان للمذهب الزيدي بما عرف به من نظره عقلانية تحررية قد أدان الصوفية في كثير من شطحاتهم وشعاراتهم البعيدة عن الاسلام وهو في ذلك يتفق مع للمذهب الحنبلي وقد الحنا في فصل قادم إلى أن الانتم ما كانوا يرجون بالتصوف لاعتبارات أشرفنا إليها هناك .

فشكل هذا وذاك عاملين رئيسيين في احصاف التصوف عند أهل الجبال حتى أن بعض الصوفية يرى انهم لا يجوزون الاسرار والكرامات (٢) . أما المقبل في القرن الحادى عشر فترجع عدم انتشار التصوف (في جبال اليمن إلى الامام القائم بها) (٣) .

(١) الخراس ص ١٨ .

(٢) يحيى بن المهدي : صله الاخوان (مخطوط)

(٣) الحنبلي : العلم الشامخ ص ٣٨١ .

وإذا كان مفا هو حال الشاجة الجبلية مع الصوفية لا يجب أن نطعم
بوجود إحصاء وفرة منهم وكل من برز فيها لا يتعدى سلوكه الطريقة السنية التي
سار عليها زهاد المسلمين وعبادهم ولم يعرف عنهم أدنى ميل إلى التصوف
القلبي كما هو الحال عند بعض صوفية التهايم والمناطق اليمنية السفلى وحضر
موت .

هل أن المجدد الحقيقي للتصوف في الجبال هو الشيخ الحليل إبراهيم بن أحمد
الكيني الذي جمع في نفسه بين الزهد والعبادة وقد وصفه الشوكاني بقوله
(انزل من الناس وانهمع عن مخالطة لهم وعكف على معالجة قلبه عن مرض
حب الدنيا وصام الابد الا العيدين والشرقي وأحياء ليله بالقيام لمناجاة ربه)
توفي سنة ٧٩٣هـ (١).

وعلى يد هذا الشيخ الكبير انتشر التصوف في مناطق صحده وصنعاء وذمار
وغيرها وقد ذكر مؤرخ سيره جماعة من مریدیة في تلك المناطق أمثال .

— قاسم بن عمر الجعفي . خرج من ماله وأمله ولبس التصوف وجاهد
نفسه وكان من أحب الناس إلى الكيني وهو أحد أوصيائه من بعده (٢) .

— يحيى بن حمزة البرم الصماني يقول جامع سيرة الكيني كان فاضلاً عابداً
زاهداً ترك الدنيا مع الفنى واقتدى ببيتة إبراهيم الكيني في لباسه وزاده (٣) .

— حسن بن موسى بن حسن من هجرة الأوطان ترك زينة الدنيا واقتدى

- (١) أنظر ترجمته في كتاب (صلة الأخوان في طلبة بركة أهل الزمان) (مخطوط) لتليفه
يحيى بن الهيثم ومسلم البدر والوال بوفيات الأعيان لقصدي — والبدر الطالع ج ١ ص ٤
وأمانة السن لزبارة ص ٢٧٨ ونشر البرق ج ١ ص ٢٨٧ وغير هذه الكتب .
(٢) يحيى بن الهيثم : صلة الأخوان (مخطوط) .
(٣) المصدر السابق : (مخطوط) .

— ببيتة إبراهيم الكيني وكان يحس الليل ويصوم النهار وكان زميلاً لبيتة
في الحضر والسفر .

« التصوف في حضر موت »

من المؤرخين من يرجع أول بادرة لتصوف في حضر موت إلى شخص
عاش في القرن السابع الهجري هو الشيخ محمد بن علي الشهير بالفقيه المتقدم المتوفى
سنة ٦٥٣هـ (١) .

ويقول الفيل شارحاً هذه النقطة (أن أصل حضر موت كانوا مفتخلين
بالمعلوم الفقيه وجمع الأحاديث النبوية ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية
ولا من يكلف لإصطلاحاتهم السنية فظهر الفقيه المتقدم وطرمها ونشر في تلك
التواحي أعلامها فأخذت منه الجم الغفير وتخرج به العدد الكبير (٢) وقد شهد
عصر الفقيه المتقدم نقاطاً كبيرة في التصوف حتى أن أحد صوفية العالم الإسلامي
المشاهير وهو الشيخ أبو مدين المغربي قد بحث إلى حضر موت مندوباً من قبله
يتدبر الطريقة المغربية في تلك الأصقاع (٣) وهذا وحده كافياً على مكانة حضر
موت عند الصوفية في ذلك الوقت .

وهن طريق الفقيه المتقدم انتشر التصوف في حضر موت وقد نبغ على يديه

- (١) أنظر ترجمته في بعض الكتب الناصرة ككتاب تاريخ حضرموت للعلند ج ٢
وكتاب ادوار التاريخ الحضري للشاطري ج ٢ ص ٩١ وشرح البيهقي ص ٦٠٢ والشمس
والثقافة في التاريخ الحضري لبازير ص ١٢٦ ومن القلائد الفيل في المعروض الروى ج ٢
ص ١٧٢ والشيخ علي من ابن بكر السناف المتوفى سنة ٧٩٥هـ كتاباً في مناقب بني نون
الأنموذج اللطيف بآخر كتاب البرقة للشبيبة ص ٢٠٩ — ٢٢٦
(٢) الفيل : المعروض الروى في مناقب بني علوى ج
(٣) أنظر الشاطري ادوار التاريخ الحضري

جمع كبير من الصوفية أمثال الشيخ عبد الله بن محمد بأجداد^(١) المتوفى سنة ٦٨٧ هـ وعبد الله بن إبراهيم بأقشهر وسعيد بن عمر بالحلاف وسعد بن عبد الله أكدر وغيرهم كثير وظل جبل الصوفية في حضر موت يتابع حتى عصرنا الحديث حيث عرفنا منهم جماعة من الانقلاب أمثال عبد روس بن عمر الحبشي المتوفى سنة ١٣١٤ هـ وعلي بن محمد الحبشي ١٣٣٤ هـ وعطوى بن عبد الرحمن بن قهاب وغيرهم كثير وعلى الرغم من كثرة وجود الاعلام والمجاهد في الفقه والتصوف فإنه لم يحدث هناك شقاق كبير بين (الزعتين الفقهية والصوفية) ورغم ما بينهما من خلاف فقد ظلنا على وئام في حضر موت بل أن كثرا من قهات حضر موت اعتقوا الآراء الصوفية المعتدلة دون أن يروا فيها ما يعطلم مع نصوص ظاهر الشريعة^(٢).

«عالم الصوفية»

تولية الشيخة الصوفية

بعد اكتمال التصوف في اليمن قواعده الاساسية وقيامه كذهب مستقل رأيناه من نفسه نظما وتقاليده خاصة به لا يواحه فيها أحد من إبداع الطوائف الأخرى ومنذ القرن السابع والتصوف في اليمن يحاول أن ينظم نفسه في هيكل دقيق يشكون من الأصل والفروع بحيث لا يمتد كل فرد فيه مكانه المنصوص له فالشيخ الذي هو أعلى درجة في هذا التنظيم يليه الخواص من جلسائه ثم سائر المريدين من الطلبة والاتباع.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الخواص ص ٧٠ ولا حد احفاده كتاب في مناقبه بعنوان الشيخ القوم (مخطوط)

(٤) سعيد باوزير : الفكر والثقافة في التاريخ الحضري ص ١٠٧

هل أن تولد المشيخة الصوفية لا يأتي في أكثر الأحيان احتباطا أو بدافع ذاتي وإنما يكون غالبا بتشجيع يقوم به كبار الصوفية في ذلك الوقت للشيخ المرشح للمشيخة وقد ذكر الزجاني صورة من تلك الطريقة التي تتبع في ترشيح الشيخ - وهي في الغالب لا ترتبط بكيفية واحدة - من ذلك أنه عندما كان تولية الشيخ إسماعيل الجبرتي مشيخة الصوفية وذلك بعد أن كثرت إتبائه واشتهر أمره اجتمع الصوفي الكبير رضى الدين أبو بكر سلامة الموزعي بالشيخ أبي بكر بن محمد السراج صاحب قرية للسلامة فأشار عليه بأن ينصب الجبرتي فقبل منه ذلك وانتظر حتى جاء وقت السماع فقام في تلامذته وألبه صمته وقال لهم قد نصبت عليكم شيخا^(١).

وهناك صور أخرى لتولي المشيخات الصوفية وربما أومر بعض الشيخوخ لآحد تلامذته بتولي المشيخة من بعده وقد يقرن ذلك بمحادثة غريبة كما هو الحال في تولي الصوفي جوهر بن عبد الله المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لمشيخة الصوفية فقد ذكر كل من ترجم له أن شيخه الولي العلامة سعد الحداد قد أوصى بتولي المشيخة بعد وفاته إلا أنه قيد ذلك بشرط هجيب هو أنه سينزل طائر يقع على رأس من يأخذ هذا المنصب فاتفق أن تولد هذا الطائر على الشيخ جوهر (فقدام إليه الفقراء ليقعدوه موضع المشيخة فبكي وقال أين أنا من هذا أنا رجل عامي لا أصلح لذلك فقالوا قد أقامك الحق في هذا المقام فقال إن كان ولا بد فأهلوني ثلاثة أيام أسعى في رد حقوق الناس ثم جلس بعد ذلك في منصب المشيخة^(٢)).

وقد يعين الشيخ من يخلفه وهو لا يزال حيا فقد ذكر الشيخ أحد الرداد أن الجبرتي عينه في المشيخة وهو على قيد الحياة يقول (إن سيدي إسماعيل

(١) للزجاني : وهديته السالك (مخطوط) .

(٢) الشرجي طبقات الخواص ص ٤٦ .

الجبرتي قد نصبت شيئا وأذن لي في الالباس والتصب وذلك في ليلة السبت ٢٢ من شعبان سنة ٨٠٢ بمسجده المعروف بوييد بحضور جمع من الشيوخ والفقراء والمريدين (١) فيكون تصيب ابن الرداد المشيخة قبل وفاة شيخه بأربع سنوات .
ول القالب يكون قول المشيخة وراثياً فيختلف الابن والده وهكذا هل أن يقوم الابن بكافة الاعمال التي يمارسها الاب وهو لا هم الذين سموا فيما بعد بالمناصب فقد ذكر الجندي والاهمل عدد كبير من هذه المنصبات كنسبة يدي سود بن الكميث (٢) ومنصب بن المكش (٣) ومنصب بن الحكم (٤) ومن أشهر المناصب الصوفية في اليمن والتي لا تزال قائمة إلى الآن منصب بنى الامل .

وقد احتفظ لنا الادب اليمنى بصور من احتفالات الفقهاء في تولي أحد الصوفية ذلك المنصب الوراثي كقول الشاعر ابن زقل منشأ الشيخ أحمد بن عمر الامل بتولي منصب المشيخة الاهلية وكان قد احتفل الصوفية بتولي هذا المنصب بأن حملوا حلة سماح كبرى يقول ابن زقل (٥) :

صب بكاحنة شجة أربع فدموعه في الخدمه أربع
راحت في القادين رائحة الثرى ففؤاده لمسا تأوه مروع
بمسلمين العيس تنفع في البرى حيناً وحيناً في الأزمه تزوج
قولوا لا بناء الاوايا هلغوا من لم يكن الآن حاضر يسمع

(١) أبو بكر البديروس الجزء الطيف في التكيم الشريف من ٢٢ :
(٢) الجندي : السلوك عطلوط .

(٣) و (٤) : الامل تحفة الزمن عطلوط .

(٥) أنظر ترجمته في طراز أعلام الزمن للخرجي . وهو محمد بن إبراهيم بن زقل مدح جماعة من مشايخ العرب ويقول لم ألق على ديوانه .

أهل الطريقة والحقيقة أجمعوا هزموا في الرأي العوالب واجمعوا
أن ينصبوا ملك المناصب تبعاً إذ ليس في كل المناصب تبع
ويتوجوه بتاج أهدل جده إذ ذاك بالودع الصريح مرصع
ويبرقعوه ببرقع من طمه لينظر العلماء وهو مبرقع

الزوايا والربط

هل أن المشيخة مقر خاص عرف عند الصوفية باسم (الرباط) أو الزاوية ، يكون مأوى للمريدين ومن يريد أداء بعض العبادات وسجد هذه الربط قد كثرت في القرن التاسع وما بعده منها :

١ - زاوية الشيخ أبي الفيت بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ بلغ عدد من فيها من المريدين مائة طالب (١) .

٢ - زاوية الشيخ علي الامل (القرن السابع) مجموع من فيها نحو ٥٠٠ طالب (٢) .

٣ - رباط الشيخ علي بن أفلح (القرن السابع) في مدينة زيد (٣) .

٤ - زاوية الشيخ مفتاح بن عداقة الاسدي (القرن السابع) مجموع من فيها ٣٠٠ طالب (٤) .

٥ - رباط الشيخ محمد بن عمر النهارى المتوفى سنة ٧٤٧ : يقع في ناحية ربه (٥) ،

(١) التصوف في تهايه من ٣٢ .

(٢) المصدر السابق من ٣٢ .

(٣) الشرجي : طبقات الغواص من ٨٧ .

(٤) وطيطوط . طريقة للمعلم وطيطوط (مضطوط) وطبقات الغواص من ١٥٦ .

(٥) الشرجي : طبقات الغواص من ١٢٦ .

٦ - رباط الشيخ اسماعيل المغربي المتوفى سنة ٨٦٠ : يقع في مدينة عس
وقد ذكر تلميذه الرجاس جماعة من الذين تولوا تعليمه منهم الشيخ الصديق
المري والشيخ أحمد بن عبد الحميد (١).

٧ - سؤلية الشيخ أبي بكر بن عبد الصلح المتوفى ٨٤٥ بمدينة زبد
وقوله للرجاس أه أمرك قيب لقراء (الطلبة) بها وكان خيراً صالحاً له
عبد المكي (٢).

٨ - رواية الشيخ أبي بكر بن محمد بن سلامة المتوفى سنة ٨٥٤ له رواية
بمدينة مزع (٣). وهو من قروايا والأرجح كثر جداً (٤). وأهل أشهرها
في عصرنا الحديث رباط مدينة زيم (٥) ورباط الجنا. تصد إشراف السيد
عبد الحارث (٦).

« خرفة الصوفية »

ومن مهام الشيخ الزينية بجانب الإشراف على أوقاف الزاوية وتسيير
أمرها القيام بألبس الخرفة للصوفية والتحكم في أمر ذلك وتنظيم حفلات
السامع الذي يجلبه المرحلون في الزاوية أو في بعض المساجد وتتوقف هنا عدد
طوبى الأمرين :

- (١) القزويني : حياة السالكين والفرسان ص ١٠
- (٢) المصدر السابق ص ١٨٣
- (٣) المصدر السابق ص ١٧٦
- (٤) القوس لمرقة عند القروايا ورباط الرجاس : كتاب قصة الزمن للأحمد وطبقات -
الفران.
- (٥) وهذا تاريخ أمه : السالكين للفران وهو الباحث عبد الله بن حسن بن عبد
كاف بنول في ذكره الخطاط تاريخ الزاوية (مطبوع)

فالبس الخرفة الصوفية من العادات الأصلية للصوفية الذين وهبهم وهم
برجعون مندما إلى نفسى من الله عليه وسلم (١) ويحصلونها من الباشايات الأولية
لطلاب الصوف ومن الفقهاء من أنكروا عليهم مندما إلى الرسول إلا أن الصوفية
يقولون في الرد عليهم أن لبس الخرفة إذا فرضنا عدم صحة نسبته إلى الرسول (٢)
(ليس بمحرم ولا مكروه وأن القدح في حقيقتها ليس بمستكره على الإطلاق
قد أحدث الفقهاء لبس الطيلسان على الصلابة وقالوا ليس بمحرم ولا مكروه (٣).

وقد أفرد الخرفة الصوفية كثر من صوفية الذين فرغوا في مندما وتاريخها
مؤلفات حديثة (٤) مما يدل على مكانتها عندهم : وهم يختلفون على من سواهم
بأن بعض الفقهاء المحبدين لتعاليمهم قد شارك في لبس الخرفة كالنقيب المحدث

(١) الميوس الميوس : عقود الآله ص ٢٤٠

(٢) الميوس : الجزء : الطيف ص ٨

(٣) من الكتب التي وضعها صوفية الذين في الخرفة الصوفية وسندما وآدابها الكتب
الآية :

١ - أحمد بن أبي بكر الرماد المتوفى ٨٢١ : تفتيش القواعد الربوية في أصل
حكم خرفة الصوفية (لاضاح السكون فهل كلف الظنون لإسماعيل باها)

٢ - علي بن أبي بكر القفاص المتوفى ٨٩٥ البرقة للشبه في ذكر الخرفة
الآية طبع في القاهرة سنة ١٢٤٧ هـ .

٣ - أبو بكر بن عبد الله الميوس المتوفى سنة ٩١٤ : الجزء : الطيف
في التحكم العرف طبع في القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ .

وهذه الثلاثة المتوفى عند مرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ مؤلفا كتابا لبعضهم بعضا من
الميوس المتوفى ٩١٤ في الخرفة الصوفية عند أهل اليمن بنول (القصة الصوفية
بواسطة البهجة الميوسية) .

روحان الدين إبراهيم بن عمر الماروني المتوفى سنة ٧٥٢ والفقيه نيسابوري
سليمان إبراهيم الماروني المتوفى سنة ٨٢٥ والفقيه محمد بن عبد الرحمن السراج
وغيرهم (١).

وعند الصوفية أن ليس الخرقه دليل على المتابعة لرسول الله (ص) ومنهم
من قال أنها رمز إلى الرابطة بين الشيخ وتلميذه (٢) وقد قسموا الخرق من حيث
مدلولها الصوفي إلى ثلاثة أنواع .

الأول : خرقه الإرادة لا يتعاطاه إلا من له إرادة صادقة (٣).

الثانية : خرقه التبرك وهي مفاتيح للخاص والعام يلبسها كل من أراد التبرك
بالصوفية (٤).

الثالثة : خرقه التعبد ليس بقصد التعبد بالصوفية وحسبها حكم النوع
الثاني (٥).

ومعكذلك يعني الصوفية في فلسفة خرقتهم وهي في الغالب تتكون من
طاقية الشيخ أو قميص أو الصمامة أو الطيانشان أو شعر ذلك (فيجوز أن يسمى
جميع الملابس من الأزار والقميص والإردية والجباب والمعالم والأقبية
وما فوق ذلك وما دون كلها خرق (٦).

ويكون لباس الصبيغ لمريده في حفل جميع طقوسه الصوفية له فقد ذكر
الميدوروس راوبا عن نفسه كيفية لباسه الخرقه الصوفية بأن ذلك كان (بحضر

(١) المزاجي : مقدمة السالك (مخطوط)

(٢) الأملد النس البان وأجازة القضاء في الدوكان (مخطوط) :

(٣) الميدوروس : الجزل الطيب ص ٥٥ .

(٤) ، (٥) ، (٦) : المصدر السابق ص ١١ .

(٥) المصدر السابق ص ٧٧ .

عظيم من كافة المفايخ والفقراء والعلماء وكان ذلك بتاريخ شهر رجب سنة
٨٦٥ هـ (١).

ويصح الالباس عادة قيام الشيخ بتحكيم التلميذ وتلقب الذكر فاما التحكيم
فهو عبارة عن أشعار تليد لشيخه بموافقة على التلمذة عليه وقد شبه بعضهم
بالمباينة عند تولد الخلافة (٢) وهناك صور كثيرة لهذا التحكيم عند الصوفية منها
أن (يضع المتحكم يده في يد الشيخ ثم يقرأ الفاتحة وأية من آيات الرجم
الواردة في القرآن ويقول الشيخ بعد ذلك رديت بي فبينا ومزودها يدعوك إلى
مادعاه الله ورسوله فيقول التلميذ رديت (٣) ثم يقرأ عليه بعض الآيات
والأدعية .

(أما التلقين فهو أن يضع الشيخ يده في يد المريد ويأمره بسماع الذكر
معه مع تضييع العينين ثم يقول بعده . ثم يقول الشيخ بعد الاستغفار والدعاء
لا إله إلا الله ثلاثا فيقول المريد كما قال الشيخ (٤) .

« السماع عند صوفية اليمن »

كان السماع في أول الأمر عبارة عن تجمعات الصوفية تلى خلالها مجموعة
من الأذكار والأوراد يلقبها الطلبة بصوت واحد مرتل ثم أخذ يتطور قليلا
فأدخل عليه القصائد المنظومة ثم استعملت بعض الآلات الموسيقية كالطبل والناي
إلى أن تحول إلى غناء وموسيقى ورقص .

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ميدوروس الجبلي : طرق اللال ص ٩٩ .

وقد أقام صوفية اليمن السماع منذ القرن السابع ومن أوائلهم الذين مارسوا هذا النوع من الموسيقى الصوفي الكبير أبو الفتح بن جميل^(١) والشيخ أحمد بن طوان^(٢) ومحمد بن أبي بكر الرازي^(٣) وكان الشيخ محمد بن عيسى الزياضي يميل السماع في كل قرية من قرى وادي مور ويردد^(٤) وفي أماكن أخرى وربما ظل يردد بيت شعر واحد طيلة السماع كله .

أما في القرن الثامن فقد انتشر السماع على يد الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبري بعد أن أدخل عليه أشياء جديدة وربما أقام السماع في ليله بأكملها^(٥) . ويحضر سماعه في بعض الأحيان سلاطين الدولة الرسولية أمثال الملك المجاهد والملك الأفضل والملك الأشرف^(٦) ويقول الأملد أن الجبري أدخل على السماع بعض الآلات الموسيقية كالدف والقيارة والعود وربما حصل في بعض ليال السماع (من الإعلان بالزينة وخروج النساء وحضور من الأمر العظيم)^(٧) .

وكان الجبري أول من أقام السماع للأسر احتفالاً بمناسبةاتهم العائلية^(٨) وذلك بقصد إدخال السرور عليهم حتى أن السماع أصبح بعد ذلك نوعاً من الترفيه وكادت أن تختفي قداسته الصوفية التي يهدف من ورائها ذكر الله والخفية

(١) الزياضي : روح الرازي ص ٢٧٨ .

(٢) و (٣) المصدر السابق (نفس الصفحة) .

(٤) الزجاوي : مناهج السالك (مخطوط) .

(٥) المصدر السابق (مخطوط) .

(٦) المصدر السابق (مخطوط) .

(٧) الأملد : نطفة الزمن (مخطوط) .

(٨) الزجاوي : المصدر السابق (مخطوط) .

له ومع ذلك فإن الجبري هو القائل (أن السماع حرام على من لا يعرف معانيه)^(١) ويقول (السماع لمن فتح عليه في التصوف والافهم حرام على كل شخص)^(٢) وقد جيب إلى نفوس تلامذته تلذوق السماع والمشاركة في حفلاته فكان له أنصاره الكثيرون . ومنهم من يذوق فيه وينفعل به حتى يؤدي به ذلك إلى الوفاء كما يذكر من أحد تلامذة الشيخ الجبري وهو الصوفي محمد بن هافع (وكان قد حضر سماعاً للفقراء فلما غنى المثنى في السماع دخله شيء من الوجد فقام من موضعه وقعد عند المثنى ساعة ثم رمى بنفسه على المثنى واعتنقه ساعة ثم فترت قواه ومات)^(٣) .

ومنهم من يرمى بنفسه من مكان مرتفع أثناء السماع فلا يصاب بأذى كالشيخ عبد الله بن محمد العفيف المعروف بالسنن^(٤) وغيرهما كثيرون فبدل كل ذلك على الأثر القوي الذي تركه السماع في نفوس تلامذة الشيخ إسماعيل الجبري .

« المؤثرات الخارجية في تكوين التصوف باليمن »

منجد كل تلك التقاليد والمعادن التي مارسها صوفية اليمن من الأمور المتبعة عند سائر الطوائف الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي ولم يبدلوا عنهم في قليل أو كثير .

ومع ذلك فإنا إذا أردنا أن نلخص للتصوف في اليمن وجهة خاصة به فنجد ما في قيام بعض الطرق المحلية التي نشأت فيه كالطريقة الأملدية والطريقة الجبرية والطريقة الحدادية والبيدروسية^(٥) وغيرهما إلا أن كل هذه الطرق لا تعدوا أن

(١) و (٢) الفرجي : طبقات الخواريص ص ١٨ .

(٣) الفرجي : النور الأولي ج ٢ ص ٢١٨ .

(٤) الفرجي : طبقات الخواريص ص ١٠٦ .

(٥) أورد هذه الأسماء الزبيدي في كتابه (النسخة القدوسية بواسطة البضة البيدروسية)

واظهر أيضاً كتاب (السط الحيد) لأحمد بن محمد القشاشي طبع في الهند .

يكون أسماء كل غير مسماة إذا الكل من هذه الطرق ينفرد من المنهج
لقام التصوف الاسلامي عموما ولم نجد احدا منهم ينفرد لنفسه منهجا
خاصا .

وحسب اولئك الذين ذهبوا لانفسهم طرقا مستقلة لعدم ينفردون بغيرهم
القول الصوفي الكبير الذي شهد بها حواضر العالم الاسلامي في بغداد ومصر
والقرب وهذه الطرق منحصر ما في ستة طرق صوفية كان لها الابرار الكبير على
التصوف في اليمن .

١ - الطريقة القادرية : وتنسب إلى الشيخ الكبير عبد القادر بن موسى
الجليل المتوفى سنة ٥٦١ هـ وله تأمل هذه الطريقة جمع كبير من صوفية اليمن كالشيخ
ابراهيم بن محمد باقر (١) والشيخ احمد بن يحيى المسعودي (٢) المتوفى سنة
٨١١ هـ والشيخ اسماعيل الجيزي (٣) والشيخ ابراهيم بن بكر بن أبي حرمه والشيخ
عبد الله بن خليل باعادي (٤) والشيخ احمد بن محمد (٥) وغيرهم كثير جدا ولعل
اول لقاء بينين بالطريقة القادرية يعود إلى عصر الشيخ عبد القادر الجليلاني
حيث اجتمع به اثنان من صوفية اليمن هما الشيخ علي بن عبد الرحمن السداد
والشيخ عبد الله الاسدي فأما الاول فقد التقى به صدقة عند السكة المرفقة (فليس
من القرون الصوفية عند مقام ابراهيم الخليل سنة ٥٦١ هـ) وأما الثاني : فانه لما
سمع أن الشيخ عبد القادر الجليلاني سجد من العراق إلى مكة لأداء فريضة الحج
لوجه نصيبا للحائكة (فوافاه برغفات فأخذ منه كتب اليد وسمع عليه شيئا من
علم الحديث النبوي) (٦) ويقول القرمحي أن (غالب) شايخ اليمن يرجعون في

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) : المهدوس : الجزء الطه من ٢٠ - ٢١ .
(٦) القرمحي : طبقات الطوائف ٨١ .
(٧) المصدر السابق ص ٧١ .

نسبة الطريقة الصوفية إلى الشيخ عبد القادر الجليلاني (١) .

٢ - الطريقة القادالية : نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله القادالي
المتوفى سنة ٦٥٦ هـ انتقلت هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ علي بن عمر بن حسين
القادالي المتوفى سنة ٨٢١ هـ (٢) الذي كان من أوائل المؤسسين لها في اليمن وكان
قد رحل إلى بيت المقدس ومصر فاجتمع فيها بالشيخ ناصر الدين بن شهاب الملقب
سنة ٧٩٧ هـ أحد أعيان القادالية في مصر ويقال أنه لما علم بقدمه إلى مصر من
بيت المقدس أمر بعض أصحابه (ببقائه في حفل مهيب) (٣) ثم رجع إلى اليمن
ونشر بها الطريقة القادالية . وبعض المؤرخين ينسب إلى هذا الشيخ اكتشاف
القات والقهوة (٤) مستدلا في ذلك برحلته إلى الحبشة إلا أن هذا لم يحقق فيه
وقد المصادر القديمة التي ترجعت له اكتفت بالإشارة إلى تصوفه ونقله الطريقة
القادالية إلى اليمن .

٣ - الطريقة المغربية : تنسب إلى الشيخ شبيب بن الحسن الصبيح باني مدين
(توفي سنة ٥٩٤ هـ) وقد سبق أن أشرنا إلى أنه بعض مندوبا من تاجيك إلى
حضر موت . ومنذ ذلك التاريخ وأباحت هذه الطريقة بتكاثرهم في اليمن ولعل
آخرهم هو الشيخ احمد بن عبد القادر باقر المتوفى سنة ١٠٥٢ الذي شرح كتاب

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) كذا عند القرمحي وأما السطواني فيضبط وفاته سنة ٨٢٨ هـ
المرجع في تاريخ البراهين وطبقات الخوارج ١٠٠ والاضواء الامم ج ٥ ص ٢٦٢ .
وأما المجلس لعل بن نور الدين المسكن ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) البراهين : التاريخ (مطبوع) .

(٤) انظر مثلا كتاب (أبناس الصلوة بالقباس القوية) للمهدوس (مطبوع) ورواج

الاوليات في الفخامة بين القهوة والقات للاهيب أحمد الطي ص ٢٣ .

الشيخ ابن مدين (أبو الوحيد) في مؤلف بعنوان البيان والمريد^(١).

٤ - الطريقة الرفاعية : مؤسسها الشيخ أحمد بن حل الرفاعي المتوفى سنة ٧٨٠ هـ . انتقلت الطريقة الرفاعية إلى اليمن بواسطة الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ الذي سبأ في ذكره في أحداث النزاع بين الفقهاء والصوفية وكان هذا الشيخ قد أدرك أحد أحناف الشيخ أحمد الرفاعي وهو نجم الدين الأخضر فأخذ منه الحقة الرفاعية وتربى بين يديه تربة صوفية (فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الحقة الرفاعية هناك)^(٢) . وفي اليمن اجتمع القدسي ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الحمدي وغيره ويقول المرحوم أنه (تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن في اليمن واهتم عدة رجب بعد أن نشر الحقة الرفاعية وانتشرت عنه انتشارا كبيرا لاسيما في مختلف جسر)^(٣) أما البيهقوس^(٤) فيعتمد بعض من رجالات الحقة الرفاعية في اليمن بعد عصر القدسي وهم إسماعيل الجبرتي ومحمد بن أبي بكر الضجاعي وإبراهيم العلوي المتوفى سنة ٧٥٢ هـ .

٥ - الطريقة السهروردية : نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . لم يعرف شيء من آثار هذه الطريقة في اليمن سوى الحقة المسربة إليها فقد أشار المبدروس^(٥) إلى بعض إتيانها ومما الجبرتي والعلوي وقد سبق الإشارة إليهما .

٦ - الطريقة النقشبندية : من الطرق الصوفية المتأخرة وقد نشرها في اليمن

(١) طبع في مصر سنة ١٣٠٠ هـ .
(٢) والشرحي طبقات المومنين ١٠٧ .
(٣) البيهقوس الميزان الطيف ٢٢ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٣ .

الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندي النقشبندى المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ واحد القاديين فأخذ عنه هذه الطريقة بعض الصوفية كالشيخ أحمد بن محمد بن عجيل المتوفى سنة ١٠٧٤ هـ^(١) وابنه موسى بن أحمد ومن تلقى عنه هذه الطريقة أيضا الشيخ عبد الباقي بن الزين المرحوم المتوفى سنة ١٠٧٤ هـ يقول عنه المرحوم (أخذ طريق النقشبندية عن الشيخ تاج الدين الهندي حتى صار خليفة من بعده في هذه الطريقة)^(٢) .

ولإذا تجاوزنا هذا النوع من التأثير الخارجي على التصوف في اليمن - والذي ينحصر غالبا في الطرق الصوفية - فنستجد الوفرد الصوفية قد قاصت هي أيضا بدور فعال في بلورة التصوف في هذه البلاد وذلك بإدخال بعض التيارات الجديدة التي لم يكن له عهد بها من قبل كاستحداث النزعة الفلسفية وقيام التنظيمات الخاصة بالصوفية إلى غير ذلك من أمور هربية سرهان ما قبلها صوفية اليمن .

ولعل أهم الوفادات بالنسبة للتصوف اليمنى هي وفادة ذى النون المصري الصوفي الشهير وقد أشار إلى رحلته هذه بعض الباحثين من القدامى والمحدثين أمثال عبد الله بن اسعد اليافعي الذي يذكر حكاية وقعت لدى ذى النون المصري نفيد دخوله إلى اليمن^(٣) . ومنهم الباحث المعاصر الأستاذ أحمد أمين الذي يحدد دخول ذى النون إلى البلاد بنحو سنة ٢٣٧ هـ^(٤) ولا نعرف ما هو الهدف من مجيء هذا الصوفي الكبير إلى اليمن وأظن أنه دخلها بقصد السياحة والتفرج على ملكوت الله كما هو معروف عن هذا الصوفي في زيارته للإمام كن الأخرى

(١) المحي : خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٤٦ .
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٣) اليافعي : روض الرياحين ص ٤٣ .
(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام .

ولا اعتقد أنه كان يرمى بدخوله اليمن (التبصر لشر مذهبه الصوفي) (١) كما
يقول بعض المعاصرين إذ العصر الذي إدركه الشيخ لم يكن يعرف لغوء الطرق
الصوفية .

ثم نظري الزمان طبا ونقف عند القرن الثاني عشر الهجري حيث تطالعتنا
فيه عدة وعادات صوفية عامة لم ينحصر أثرها في التصوف وحده بل تعدته إلى
تغيير الجري التاريخي للبلاد حتى هذا القرن وجدنا بعض الشخصيات الصوفية
الجهينة تتنعم بمهول اليمن وتبشر بالدهوة إلى التصوف متجاهلة في ذلك سخط
الائمة على الصوفية فقد ذكر الجبرتي عن أحد القادحين : إلى اليمن وهو الصوف
المصري على بن عمر القناوي المتوفى سنة ١١٩٨ بآته (دخل صنعاء واجتمع
بأمامها وذهب إلى كوكبان وانتظم حاله وراج أمره وتلقن منه الطريقة جماعة
فاستمال حسن مذاكره ومداراه طائفة من الرعية مع أنهم لا يعرفون الذكر
— هكذا يقول الجبرتي — ولا يقولون بطرق الصوفية فلم يزل بهم حتى أجروه
وأقاموا على الذكر هدموا واكموه (٢) وكان هذا الرجل قد حقق مدفه في
تميز التصوف إلى أهل صنعاء وكوكبان على الرغم من عدم موافقة اتباع
للذهب الردي لهذه الفقه . والحق يقال أن الممارسة للتصوف بدأت تختفي بعد
هذا التاريخ في عموم اليمن وعلى الأخص القسم الجليل الذي عرف بممارسة
الصوفية . كما أثرنا سابقا .

ولم يترك الصوفية من أهل اليمن ترجيحاً كبيراً فكثرت الوفادات والزيارات
من سائر أنحاء العالم الاسلامي ولعل أهم هذه الوفادات زيادة الصوفى المغربى

(١) الجليل : الصوفى في نهاية من ١٥٠ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار (ملا من نشر الصوفى
لمؤرخ زياره ج ٢ ص ٢٥٧) وترجم له أيضا الامدلى في النفس البياضى (مخطوط) .

الكبير الشيخ أحمد بن إدريس الترمذى ١٢٥٣ (١) واستقراره في اليمن ثم قيام
بعض أحفاده من بعده بتأسيس دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الإدريسية وقد
لبثت دورا كبيرا في التاريخ اليمني .

سقوط التصوف

أسفر التصوف عن شخصية قوية كان لها الأثر الكبير في تغيير مجرى الحياة
الثقافية في اليمن وتحويلها من تعاليم حرفية تعنى بدراس التصوف التقليدية إلى
علوم تعتمد على المراجعيد والأذواق الخاصة ببعض أفرادها وقد كان رجالهم
الأول من الصوفية العمليين الذين لم يمنهم زهدهم ونسكهم عن الاقتراب
من الناس والدخول في همومه فانخرطوا في سلك المجتمع وكانوا المجرى من آماله
وطموحه أمام السلطة الحاكمة واسمع منهم أصواتاً قوية كصوت الشيخ أحمد
ابن طرمان الذي يقول للسلطان المظفر الرسول .

دار عليك قصورات مشيدة والرعية دور كلها دمن (٣)

وهكذا يكون الصوفية في اليمن هم الصوت الوحيد المعبر عن الأمة بعيداً من
التزلف والرياء إلا أنهم سرعان ما أخذوا ينحدرون إلى الهاوية بعد أن خلفهم
جيل من الصوفية كان همه الأول التمتع بالملاذ والتفاني للحكام ومنذ ذلك التاريخ
وعلامات الاصططاط تأخذ في التتابع .

فأول هذه العلامات ظهو الصوفية في نقديس شيوخهم وإسباغ حالات
العظمة عليهم فنسبوا إليهم العديد من الكرامات التي لا يقدر على فعلها إلا رب

(١) انظر خبر قدومه إلى اليمن في النفس البياضى للامدلى (مخطوط) وكتاب دور
اعور الحور العين لطف الله جفاف (مخطوط) وبل الوتر ج ١ ص ٢٢٣ .
(٢) السور القولية ج ١ ص ١٦١ (وانظر رسالته التي بنها إلى السلطان في هذا الصدد
نشرتها مجلة المحكمة الصادرة بدمشق) .

الأرباب^(١) ومنهم من لم يكتف بإضفاء تلك الكرامات إلى شيخه في حياته فأخذ يتقرب إلى طريقه بعد موته ويعتبره من الزارات المقدسة حتى أدى به الأمر إلى الاسيغاة به وطلب تولد الطر عند قبره والتحر له إلى غير ذلك^(٢).

أما متأخروهم فقد كانوا وصية حار على الصوفية وقد حولوا تصوفهم إلى نوع الصوفية^(٣) بملوه وسية الكذب الخاطي فقاموا بأعمال يتبرى منها صوفيتهم الأوائل.

تاريخ الصوفية السياسي

الملاحظ على تاريخ التصوف أنه لا يمتش إلا في ظل الدول السنية إذ لا مجال له في المذاهب الأخرى حيث نجد شخصية الصوفي تراحم من سواها من الزعامات الدينية الأخرى في مذاهب الشيعة والمعتزلة ومذهب الخوارج وقد ذكر آدم متز أن المعتزلة ينكرون بالسلفية أن يختص بعض المسلمين بالولاية من دون بعض ويرون أن جميع الذين يطعنون الله ويقومون بأحكام الدين هم أولياء الله^(٤).

ولا غرابة إذا كان الصوفية في عهد الدول السنية أممية لانهاء قامت على زعامات تفصل بين الدولة والدين وليس لها ك التدخل في الشؤون الدينية

(١) أنظر على سبيل المثال ما أورده القزويني في كتابه من كرامات كثيرة لصوفية اليمن
(٢) حين من مهدي النسي : معارج الأباب ص ٥٦ وما بعدها .
(٣) يذكر المؤرخ يحيى بن الحسين حادثة طريفة فاصلة بين سنة ١٠٤٨ لآحمد مروان الصوفية في تلك الفترة يقول (ولما هذه السنة رأيت كثيراً من عرء الشيخ أحمد بن طوان يأكل خنفاً من أوله حتى بلغ إلى نكته أو وجهه وطرح إليه وهو حال أكله يذكر الله) أنظر بهجة الزمن غلوط بقلم المؤلف .
(٤) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٤٨ .

من زاربه سلطه العليا الهيدة من كثر من تفاصيل الدين وغالباً ما جعل الملوك من الصوفية مصدر بركة وإمداد خفي لحكمتهم .

تاريخ الصوفية في عهد بني أمية

إذن فعلينا ونحن نؤرخ للصوفية أن نتجه صوب الدول السنية التي حرمت بين، فلم معها شأن كبير، ومنذ الدولة الأموية والصوفية يقومون بكل شعاراتهم في حرية تامة، وقد كان للصوفية اليمن مواقف لا تنس تجاه استبداد الولاة الأمويين . . . وقد كبرون لهم في ذلك حكايات كثيرة . من ذلك أن عامل صنعاء من جهة الدولة الأموية محمد بن يوسف الثقفي أراد أن يستميل إلى جانبه الزاهد الجليل طاووس بن كيسان فجهت إليه بهدية قدرها سبعمائة دينار (وقال الرسول: إن أخذما منك فاني سأحسن إليك ، فخرج الرسول حتى قدم على طاووس وهو بالجند فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة يهتها إليك لأهلي . فقال: مال بها حاجة . فداراه على أخذما فاني حتى غافل طاووس فرمى بها إلى كوة في بيته وذهب إلى الأمير وقال له أن طاووس أخذما)^(١).

وكان طاووس بعيد صلاته إذا صل خلف الأمير أيوب أحد أمراء صنعاء من قبل الأمويين .
(ولما رحل إلى مكة قيل له أن أحد الأمراء قدم إليها وأن من فعله وإحسانه كذا وكذا فملا قدمه عليه ؟ فقال لهم نحالي به من حاجة فقالوا : ما نخافه ؟ قال : ليس الأمر كما تظنون)^(٢).

وهذا الموقف المفضل من قبل الصوفية يفسر لنا السخط العام الذي لقيه الدولة الأموية . حل أن هذه الدولة الأموية لم تترضى لأحد من

(٢) الرازي : تاريخ صنعاء تحقيق حين المزي وزيد ص ٢٢٠ .

(١) الرازي : تاريخ صنعاء ص ٢٢٤ .

الصوفية بأذى نظراً لأنهم كانوا في دور التعبد والوجد ولم يدخلوا تيارات الفلسفة
الصوفية بعد ، ومثل ذلك الموقف المماثل من قبل الصوفية ما يذكر من
أحدهم أنه لما (رحل الحاج إلى مكة سمع ملياً يلهي حول البيت رافضاً صوته
باللبية قال على بالرجل فأتى به فقال الحاج من الرجل ؟ قال : من المسلمين
فقال ليس من هذا سألتك : قال : هم سألت قال : سألتك من البلد — قال من
أهل اليمن فقال : له كيف تركت محمد بن يوسف - بنى أخاه - قال تركته
مطعماً جسيماً لباركاً خراجاً ولاجلاً قال ليس من هذا سألتك قال هم سألت
قال سألتك عن صوته قال تركته ظمناً غشوماً مطعماً لمخلوق عاصياً للخالق
قال الحاج ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانته منى فقال الرجل أترأه
يمكث منك أم منى يمكث من الله بارك وتعالى وأنا رافض إلى بيته . فسكت
الحجاج ولم يحسن جواباً وانصرف الرجل من حجر إذن (١)

الدول للعتقة والتصوف

وكصادق لما قلنا من أن الدول الشيعة لا تولي التصوف أهمية نجد اسم
التصوف يكاد يختفي تماماً من تاريخ الدول المستقلة التي حكمت اليمن بعد
اغراض الوصاية عليها كدولة الصليبية (٤٣٩ - ٥٣٥) وهو حاتم (٤٩٢ -
٥٦٩) والدولة الزيدية (٤٧٠ - ٥٦٩) وكذلك دولة ابن مهدي الذي كان
(من قلاء المعتزلة فلم يكن للصوفية في نظامه الصارم مجال) (٢) إلا أن حمارة
يذكر من نشأة هذا الرجل فيقول (كان والده من قرية العنبر من سواحل
زيد وكان رجلاً صالحاً سليم القلب ونشأ ولده على ابن مهدي على طريقة أبيه
في العزلة والتسلك بالصالح ثم حاج ودار ولقى حاج العراق وعلماء ماوراءها)

(١) الياس : دونه الرابع ص ٢٤٦ .

(٢) القليل : التصوف ل نهلة ص ١٩ .

ويطلع من محارفهم وعاد إلى اليمن فاهتزول الناس وأظهر الوفاء وإطلاق العنان
من ناحية المعسكر وكان فصيحاً قاصداً بالوفا والتفكير وطريقة الصوفية أنهم قيام
وكان يتحدث بشيء من أحوال المستقبلات فيصدق فكان ذلك من أقوى هذه
في استئالة قلوب الناس (١)

إذن فعل بن مهدي هو نفسه من فئة الصوفية . ولكن لا نجد من يضمه في
هؤلاء من الذين أرخوا للصوفية كما أنه لم يحم بشيء يذكر يوحى إليه إلى
التصوف ولا لتباعد أن يكون هذا الرجل من جهة الثوار الذين يحملون من
صفة التصوف ذريعة يتدبرون بها القيام بثورات سياسية .

وقد اكتشف أبو العلاء المعري (القرن الرابع الهجري) هذه الظاهرة في
ثوار اليمن فقال (كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلا يقدم جباية من مال يصل به
إلى خسيس الآمال) (٢) ويقول (ما زال اليمن منذ كان معدناً المنكيين بالدين
والخالفين على النحت بالترزين) (٣) .

وقد ظهر من مشاكلة ابن مهدي الكثير من الثوار الذين توسعوا بالتصوف
وليس من شأن هذا البحث دراسة هؤلاء ليخدم من مضمون التصوف الأساسي
وهو الروحية والبعد عن الاغراض الدنيوية إلا أننا سنقف عند شخصية واحدة
من هؤلاء هي شخصية التأثير مرغم الصوفي الذي كان لملوك الكرد شأن كبير
لم يقف عند شخصه وحده بل تعداه إلى من تسمى بالتصوف .

وقد قام بثورته ضد الأيوبيين نحو سنة ٦١٩ هـ في بلاد الحقل وريد وجبل
بنو مسلم المسمى سحر فدعا الناس إلى نفسه وأخبرهم أنه داع لإمام حق

(١) حمارة : القيد ص ٢٢٣ .

(٢) المعري : رسالة القديان ص ٣٠٣ .

(٣) المعري : للصبر السابق .

فانضاف إليه من الناس الجمع المنفر فصار إليه حسكر من جهة الأمير نور الدين
ومعه راشد مظهر بن المرحوم قتال مرهم لمن معه إن قاتلونا قُتلوا هزمناهم وقتلنا
راشد بن مظهر فكان الأمير قال (١) وقد أرماد أصحابه فيه عقبة .

واستحل أمر مرهم فصل رجال الدولة الأيوبية في قلق شديد حتى كان
من نتيجة ذلك أن قامت هذه الدولة بسبل معاد (٢) للصوفية فبذل كرون (٣) أن
الملك المسعود كره الصوفية بدعوى أنه إلى اليمن وحالف من لبس المرقعات ونسب
هذه المرقعة حتى قيل أنه خرج يوما من الجند يريد الصيد فرأى الشيخ فرج النوري
وطب لبس الصوفية فضرب وقال هذا يخالف أمرى ثم أشار إلى صاحب الفيل
أن يلقه عليه (٤) .

(١) يمين الدين : ٥٤٦ من ٤١١ .

(٢) الاستعداد لقتل رأي مخالف : فذهب إليه ليوبري أن الصوفية اختلفت خلال حكم
الأيوبيين (وانظر على شمل الصوفية ورجلها ولم يكن للدولة مذهب ديني خاص أو مبدأ
سياسي صريح من الأول ومما حاول تطبيقه كان ذلك وأن في رجال الصوف أداة
مفرجة سلطتها كانت احترام زعمائها ولصالحهم من الضرائب وعدم الخضوع لاتباعهم أو
الأمرام على رعاياهم وحلفاء الذكر وروح الذكور والفتوح التي كانت تنال عليهم ويخلفها
رجال الصوف في لحاظ القومين وولود القروى وطالبي المعرفة) (الخلاصة البليغة ج ١
لد ١٥٥ من ١٥٥) .

منا موراني السليل الذي يلاحظ عليه أنه لم يحدد على مصدر يدعمه وإنما أتى صفا
في كلامه استطرافاً أثناء حديثه من الاستجابات في عهد الأيوبيين ولم يجمع بينه وبينهم مرجع
لغيره في الحديث . وظل ما ذهب إليه هو الصواب لا اعتماداً على أصول القيمة في هذا الشأن ومع
ذلك فإن أصل الاستعداد رأيه في أن الدولة الأيوبية عادت الصوفية سائمة حنة كبقية الدول
التي حكمت ليس إلا أن ذلك كان في مستأمرهم وقبل أن يهزم مرهم الصوفية بثورته .
(٣) الحمدي : السلوك (مضطوط) .

وكان من أمر هذا التصريف أن وجد عليهم الصوفية وأصبحت كل تصرفاتهم
موضع دية وشك عند الصوفية ، يقال أنه لما أرادت الدولة الأيوبية أن تقوم
الممتلكات في اليمن بعد فرائها من أصحابها (اجتمع جماعة من الصوفية فاتفقوا
رأيهم على أن يدخلوا مسجداً ولا يخرجوا منه إلا بعد انقضاء حاجتهم - في إزالة
الدولة الأيوبية - فدخلوا مسجداً وأقاموا فيه ثلاثة أيام يصومون النهار ويقومون
الليل فلما كان في اليوم الثالث أو الرابع خرج أحدهم - ويقال أنه الشيخ دحل -
رفق البحر ونادى بصوت عال يا سلطان السماء أكف سلطان الأرض (١) .

تاريخ الصوفية في عهد بني رسول

تلك صفحة من تاريخهم مع الدول التي حكمت اليمن قبل الرسولين إلا أن
تاريخهم الحقيقي يتبدى بهذه الدولة الفتية التي كان من دأبها إحياء التهنيزات
العلية في اليمن عامة أيا كان نوعها فهم شجعوا شتى طوائف العلماء من البلاد
والباحثين ولا غرابة في ذلك فقد تصبغ حكام بني رسول بالعلم حتى لا نعدم فيهم
من يؤلف ويصنف ويناقش العلماء في مسائل البحث .

ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسولين يتبدى ببداية هذه الدول بل قبل
لبداية بسنوات عدة ، فالقرطوبس يذكرون تلك الصداقة الوثيقة بين مؤسس
الدولة الرسولية الملك المنصور حمزة بن علي بن رسول (حكمه من ٦٢٩-٦٤٧هـ)
ومين الفقه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكيم المتوفى سنة ٦١٧هـ وصاحبه الصوف
محمد بن حسين البجل المتوفى سنة ٦٢١هـ وما من كبار الصوفية في اليمن . ويقال
أنهما اللذان قويا حوزته في الاستيلاء على الحكم (٢) بعد معاهدتهما تضمض الدولة
الأيوبية وتنافس أمراءها فيما بينهم على الحكم . ونحن إذا أدركنا أن موت

(١) بالخرقة : تاريخ حمزة

(٢) الخردجي : الفتوح الأولى ج ١ ص ٨٧ .

شكف عن خوفه . يا يوسف كثر عاكوك وفل عاكوكك فلما عدلوه ولا
انقصا (١١) اظهر كيف بلغ الإدلال بالصوفية على الملك الظفر إلى درجة أنهم
يطلبون إزاحته عن الملك وهذا يدل على تسامح هذا الملك ورحابة صدره .

في عهد الجهاد

ونرى العلاقات بين الصوفية وبين حركتي في عصره لا يتكرر صفوحا فيه
من حوادث الدولة السعيدة للفتوحات حتى لم يكن بأن عهد الجهاد (حكمه ٧٣١ -
٧٦٦ م) ومن تلاء من الملوك : إلا ويورد شأن الصوفية في الظهور ونجد
مواهب الروحانية بعد سلطة بني رسول مباشرة ففي عهد هذا الملك توسع الصوفية
و إظهار شعاراتهم وقد الساعات في أكثر مساجد زيد دون أي اعتراض من
قبل الدولة وقد ذكر الزجاجي في معرض كلامه الذي يذكر به ابن المقرئ
حاشي الصوفية وانتم الدولة الرسولية بهم - أن الملك الجهاد (كان يعتقد في
الحق فكبر إسماعيل الجبرتي ويحسن الظن به وقد حصل مقتنيا في زى غريب
هو وبعض أصحابه إلى مجلس الجبرتي في الليل في مسجد ابن عهد الملك (١٢)
وعندما رحل إلى مكة وأحد إلى مصر من جهة الدولة المملوكية في قصة شهيرة في
كتب التاريخ ، ثم عاد إلى اليمن كان أول ما استفسر عنه هو عن جماعة الصوفية
يقول الزجاجي (فلما طلب إليه المعرفة إلى الديار المصرية ومن الله سبحانه
به ذلك برجره إلى بلاد اليمن كان عند تولد بساحل زيد اجتمع بوال زيد
وهو يهذه الأمير بن أبي الجهاد فكان أول ما سأل عنه أن قال عاد ذلك
الجبرتي هو وأصحابه على حالهم تلك فقال البوال نعم وأزيد وأحسن . (١٣)

(١١) المصدر السابق ٢٤ .

(١٢) الزجاجي : مداه السالك (مخطوط)

(١٣) المصدر السابق .

في عهد الأفضل

كانت ولايته بعد وفاة والده الجهاد سنة ٧٦٤ موله مع الصوفية علاقة حسنة
قد (كان يرسل إلى الشيخ إسماعيل الجبرتي بعض أصحابه يسألوه الدعاء له
ولما مر الجبرتي المذكور على مدينة تمر على الأفضل لأصحابه ولبنة كبيرة
انتموا خلالها السماح فحضره جماعة من مشايخ البلاد وكبرائها ولا أراد
الانصراف أعطاه الإنعامات والهدايا هو وأصحابه (١٤) .

في عهد الأشرف

أما الملك الأشرف فقد عهد منه الصوفية كل خير ورعاية . يقول الزجاجي
مناطبا المقرئ (أما في دولة مولانا المرحوم الملك الأشرف فلا حاجة إلى شرح
ما كان يعتقد في سيدي إسماعيل الجبرتي وأصحابه ومحبيه لهم وكثر إنعامه
وإحسانه إليهم وحمل السماعات لهم فهذا شيء تعلمونه وتحققونه فهو يخاف
عليكم ولا على أحد من الناس وعرج ذلك بطول (١٥) .

في عهد الناصر

وهذا الملك هو آخر ملوك الدولة الرسولية الكبار الذين حفظوا لها المهابة
والاستقرار واستطاعوا أن يوطدوا الأمن في البلاد ومن بعده أخذت بهم الدولة
في الانقراض وخلف من بعده خلف لم يستطيعوا مجاراة أسلافهم العظام فتركوا الدولة
نبأ للظالمين . يقول الزجاجي وهو بصور علاقة جماعة الصوفية مع هذا الملك
(أما في هذه الدولة السعيدة دولة الملك الناصر فما أحتاج إلى شرح ما أنه طاله
من محبة مولانا لسيدى الشيخ إسماعيل الجبرتي وحسن اعتقاده له وكثرة إنعامه

(١٤) المصدر السابق (مخطوط) .

(١٥) المصدر السابق ١ (مخطوط) .

أخرى ضد الصوفية لا يهاذتهم فيه إلا أن الصوفي الكبير أبو بكر بن مقبول الريلمي المتوفى سنة ١٠٤٢ هـ دعا عليه بقواه (اللهم شتت شمله وفرق جمعه) (١).

وقد كانت بداية أمر الأتراك في اليمن تبشر بعلاقات حسنة بينهم والصوفية وخاصة حينما أظهروا نية طيبة نحوها بدليل تلك الرؤيا التي رآها القائد التركي سفر للصوفي ابن أبي بكر بن عبد الله العيدروس وهو يبشره بفتح اليمن (٢)، وكعمل الرائي حسن باشا بتجديد عمارة ضريح الصوفي أحمد بن طوان في بئر (٣) وقد مال إليهم الصوفية من أهل الجنوب لأسباب مذهبية.

لولا إن المجن قد انقلب عليهم بعد ذلك عند ثورة اليمن عليهم وخروجهم من الطريق السوي كما أسلفنا.

• الائمة والصوفية •

تاريخ الصوفية مع أئمة اليمن نوع آخر من العلاقات المتذبذبة بين الحرب والسلام وإن كان يظل عليها التنوع الأول كما سيتضح لنا فيما بعد.

ويبتدى تاريخهم مع الائمة منذ أدرك الامام المهدي أحمد بن الحسين - (حكم من سنة ٦٤٦ إلى ٦٥٦) - تلك الفعية الطاغية لهؤلاء الصوفية فقد أدرك يصيرته الناقية أنها لا شك ستؤثر على مركزه السياسي في المجتمع اليمني الذي يعتمد في أكثر الأحيان على النفوذ الروحي. وقد أصبح يراحم فيه جماعة الصوفية. فلما رأى هذه الفعية حاول أولاً أن يستميل رجالها للجانبه وقد كتب إلى الصوفي الكبير ابن الغيب بن جميل المتوفى سنة ٦٥٦ هـ رسالة صدرها بالآية الكريمة (قل يا أهل الكتاب مما آتواكم من كلمة سواء يبتلى

يخبركم الله عن ما كنتم تعملون) (١) وأمرهم أن يخرجوا منها من الفخورة التي دعوا إليها وبغوا بها (٢) وقد أجمل القليل في القرن الحادي عشر بقوله (كانت الأتراك قد حاصرت في اليمن ونظر الاناميل بفروهم أولاً من الخور والفقور وبالناس ثانياً من الفتك ونهب الأموال وغير ذلك (٣) ولا غرابة بعد كل هذا أن أقام الصوفية بقوتهم ضد الأتراك ومع الذين جندوا أنفسهم لمراعاة الفضيلة فقد ذكر أهل التاريخ ظهور جماعة من الثوار الذين وقفوا في وجه الأتراك وأغلبهم من أهل الجبال كذلك الثار الذي ظهر في بلاد آس نحو سنة ٩٨٦ ولقب نفسه منصور اليمن ونهه ناس كثير من الانصار تمكن هم من طرد عامل الباشا مراد (٤).

ومارال اتفاق يهوى بينهم حتى آخر مراحلهم في اليمن حيث ذكر الواسعي قيام أحد الصوفية بثررة في نواحي تمامة سنة ١٢٠٠ هـ وقد وصفه بأنه (رجل كان يهوى السر والفرقة بطم الكيبا استطاع أن يجمع حوله العامة من أهالي تمامة وبخاصة من قبيلة خولان الثائرة ودعاهم إلى مناوأة الحكم العثماني في اليمن. وقد وجه الأتراك قوة عسكرية استطاعت أن تهجر هذا الرجل على الهروب وتفرق أبنائه (٥).

أما قبل هذا التاريخ فنجد الامم التركي فأنصروه حينما طلب من أهل مدينة صنعاء نصيب مبلغ كبير من المال احترق في هذا المسلك الصوفي أحمد بن جطر وقاله أن هذا المبلغ لا يمكن تحصيله لأن الناس متفرقون في الجبال. لا كان من هذا الامم إلا أن فقه احكاماً على قومه ثم أراد أن يقوم بحملة

(١) القليل : العلم الفلح ص ٢٢٢

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٧٥٦

(٣) قول أبنه : الحكم الصادر في اليمن ص ١١٩

(١) العمري : خلاصة الأراج ص ٩٨

(٢) النهر واليه : البرق البتاني ص ٢٥١

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ص ٧٥٦

ويعلم الآفة (١) ثم قال بها (بأنه قصد الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام (٢) ويقول الجدي في تعليقه على رسالة الإمام المهدي تلك (أ) من مآل الشيخ أبو القاسم مع الإمام فاعلم تمامه ما تقول منه (٣).

ولا جدال في القوم الساسي من هذه الرسالة ولو أنها بعثت إلى رجل فمهر أبو القاسم لاحتواها بمركزة الرودح وخاصة أنها من إمام مثل المهدي وقد خصه بها من دون غيره ولكن ليس مثل هذا الإغراء مما يندفع نحوه الشيخ أبو القاسم لتسمع إليه في رده على رسالة الإمام السابقة المذكور بقول (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يجنلكم فن لا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليزول المؤمن) الحديث فالتق الإصباح ومرسل فسيم الرياح إلى فسخة مبدا عالم الإصباح والسلام على سيد الإمام وصباح السلام وعلى آله وصحبه الكرام. أما بعد فقد وصلنا كتاب عبد العزيز بدمرنا لإجابته ولعمري إنها طريق سلكتها الأولون وأقبل عليها الأكررون فمهر أنا قرأ منذ سمعنا قوله تعالى (له دعوة الحق) لم يبين فيها منع لإجاء الحق فليس لاحد منا أن يظهر سيفه على نفسه ولا أن يخرط في يومه بدات فليعلم السيرة فراعنا لما رام وليسط العذر والسلام (٤).

ومكنا اختر الشيخ أبو القاسم بأسلوب متبع عند جماعته من الصوفية بعد أن وضع قبه في حل من أي اتهام فلما الإمام.

(١) الآية ١٦٤ سورة آل عمران
(٢) بالعص: السوء (مخطوط)
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق (مخطوط) وانظر هذه الرسالة في مرآة الجنان للباقر ج ٤ ص ١٢٦

وعنه في الإجابة ج ١ ص ١٠٥ وقد جعلنا مكانه هنا لأصحتها.

وقد كان هذا الموقف - وقف التجاسي من الآفة - طامه رئيسية انه من الصوفية إلى وجهة الدول السنية ورأياتهم يقبلون ما سواهم حتى أن موقفهم هذا يفسر لنا سر تجمع الصوفية السنية وبهم من الجبال الخاصة فتوذا الآفة ويذكرون في هذا الصدد أنه (لما قوى أمر الإمام عبد الله بن حمزة - أو أحد الآفة - نزل الشيخ أبو القاسم إلى تمامه (١) وقد كتب إلى القبة محمد بن إسحاق الحضرمي يقول (لقد عرضت على الثقة من بلاد اليمن (الجبال) من أجل ظهور الفتنة فهل توافقني على ذلك فكتب إليه القبة يقول إنني كثير لبال والأهل والأقارب ولا يمكنني الانتقال بهم ولا يمكنني أن انتقل وانتركهم ولكن على أن أحض جهنم وعليك أن تحمي جهنم فقال الشيخ صدق القبة فافهم أن قتل الإمام أو أنه مات عقب ذلك (٢).

ويظل العداء بين الآفة والصوفية مستمر إلى أن يصل ذروعه عند قتل الإمام ملاح الدين محمد بن علي (حكمه ٧٧٢ - ٧٩٣ هـ) القبة الصوفي أحمد بن زيد ن طية الشاوري وكان هذا (يقبح الإمام وصنف كتابا (٣) يحذر فيه من البدعة قتله الإمام المذكور إلى بلادته في عسكر كثير ومجموعوا على بيت القبة وقتلوه مروونه أبو بكر وجماعة من أهله وأصحابه من غير قتال منهم بل ظلماً وعدواناً وذلك (٤) سنة ٧٩٣ هـ.

وكان هذا التصرف مظهر تدمير كبير من قبل الصوفية بما فيهم العلامة الكبير.

(١) القبرج: طبقات الخوارج ص ١٢٣.
(٢) من المصدر والصفحة.
(٣) وهذه الكتاب هو الذي تصدق لرد عليه العلامة محمد بن يوسف الفضل في كتابة (الاصناف) الرد على أهل الزيغ والاعتصاف (كما ذكر في المقدمة).
(٤) القبرج: طبقات الخوارج ص ١٢٤.

الفتية اسماجل بن أبي بكر القرى المتوفى سنة ٨٣٧ هـ الفنى كتب قصيدة يقول فيها مخاطبا الإمام صلاح الدين محمد بن علي :

أراني الله وأسلحني سلاح	تداره الآئنة والرماح
وقد طلعت وأنت بها صريح	تقاسمك الآئنة والصفاح
لقد أظفأت للإسلام نوراً	بعض العلم منه والصلح لاح
فتكبر بأولئك الله بيا	وجعلوا لنا ولجيك الجناح
وبؤن بسخط ربك لا محمد	ولا أحر وعرضك مستباح
فتكبر بأحد فاهد ركن	من الإيمان وانقرض الدماح
فلا تفرح بسفك دم ابن زيد	فما يرجى لقتاله فلاح ^(١)
فليس له سوى الباري نصر	ولا عند يده ولا سلاح
توقع هلاكك فقد تداني	وقد نهض على الخيل الجناح
شبهت سلاحك المظفر فيمن	سلاحهم الدهاء والإفتاح
نظف الصائمين وهم سجد	يسادون الإله لهم نواح
وما كانوا يهلك أهل حرب	ولا فيهم قتي فيه كفاح ^(٢)

وبعد هذا العمل الخطير من قبل الإمام الناصر صلاح الدين كافة الصوفية يخافون الآئنة أشد الخوف ويحذرون من الاقتراب إليهم وقد ذكر للزجاجي رواية تدلنا على مدى تخوف الصوفية من الآئنة فقال إن (الفتية الصوفى محمد بن موسى بن عجل وقد كان أحد زعماء عصره قد أشرى لإذن الشيخ اسماجل الجبري بقوله (أدع الله تعالى يحيى هذا القطر من إمام المشرق وأشار بيده له

(١) أصبحت تلوثة ابن القرى لذلك الإمام له نفس المسألة التي نقل فيها الصوفى أحمد بن زيد الطائري .
(٢) ابن القرى : هو ابن ابن القرى ص ٣٨٠

نهاء مدينة صنعاء وذمار وأعمالها — واجعل خاطرك بذلك وإياك أن تسهل له ذلك (١) . وهذا نص جلي يبين لنا شدة خوف الصوفية من الآئنة .

الإمام شرف الدين والصوفية

وتنضم مرحلة من العلاقات بين الصوفية والآئنة لا نجد فيها ما يدفعنا إلى القول بأنها كانت علاقات حسنة وكل ما في الأمر هذا الفتور الشديد الذي يصل أحياناً إلى تخنى الآئنة على جماعة الصوفية دون ما يعبر ذلك سوى بعض المسائل الاحتفادية المخالفة لهم . . . وسنضرب عليها هنا .

وبعد مجيء الأتراك إلى اليمن وجد الإمام شرف أن جماعة من الصوفية يهذلونه في نضاله معهم ورسخ في ذهنه أن هؤلاء الصوفية (يدخلون في الصب بالابناء إليه أو بالتلويح كقول بعضهم أن آل النبي إنما هم من كان أتباعه)^(٢) لك آخر ذلك فما كان منه إلا أن تصدى لهم وعقد معهم أولاً المناظرات ثم أودع بعضهم السجن والبعض قتله .

وقد ذكر ابن أبي الرجال في ترجمة محمد بن عطف الله العيسى أنه رقت يته وبين الإمام شرف الدين مناظرة وذلك في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٩٢٩ حول الصوفية بعد أن ظهر للإمام جنوح العيسى إلى مبتدع هذا المذهب النكرد ولم يفعل الإمام ذلك إلا لما رأى ميلاً إليهم ونصرته لمذهبهم^(٣) وبعد المناظرة هدده الإمام بقوله إن لم يقلع عن معتقد الصوفية (عامله معاملة المرتدين وأمره باعتزال زوجاته ثم أمهله حتى يراجع نفسه والا هو مل بالقتل)^(٤) ثم إن

(١) للزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .
(٢) ابن أبي الرجال : مطلع البدور نقل عن كتاب الإمام شرف الدين (الأنبار) .
(٣) ابن أبي الرجال : المصدر السابق نقل عن سيرة الإمام شرف الدين للزجاجي .
(٤) المصدر السابق (مخطوط) .

المبسى رجع عن معتقده وذلك بعد أن عذب وحذب وكتب رسالة بين فيها رجوعه عن التصوف (سذكر ما في موضع آخر (١) .

يقول ابن أبي الرجال - وهو يصور حالة الصوفية في عهد الامام شرف الدين وذلك قبل انهام المبسى ببيته إلى الصوفية - (وكانت قبل ذلك خدمت نارهم وقل تظاهرهم بذلك واشتارهم وبها حدهم وانفل ودرس منهج ساوكلهم واضمحل إلا من تخفى بذلك الرفص والتصفيق والغناء في البيوت وما كان سبب خذلانهم إلا ما صار يصدر عن الامام شرف الدين من التهي عن اتباع التصوف ، والزجر عن السلوك في تلك المسالك من أول دعوه (٢) .

ولم يقف الأمر عند محمد بن عطف الله المبسى بل نهج الامام شرف الدين قد أخذ عبد الله بن القاسم بنفس الجريمة السابقة وكان هذا قد (طلق قلبه بالتصوف بسبب رجل يقال له الشيخ على الجبرتي وصل إلى الظهريين من بلاد حجة والسيد عبد الله هناك فمال معه ولازمه ودار معه في الأمصار فلما ظهر منه اعتقاد الصوفية حبسه الامام في حصن العروس وأغلظ عليه (٣) ثم أطلقه بعد أن كتب رساله يقرأ فيها من مذهب الصوفية (٤) .

على أن موقف الإمام شرف الدين من الصوفية لم يقتصر على السجن فقط بل تعداه إلى قيام الإمام بقتل بعضهم . يقول المؤرخ يحيى بن الحسين في حوادث سنة ٩٤٢ (وفيها أمر الإمام شرف الدين بقتل الفقيه حسن بن أهل الجدر (٥))

(١) انظر ما في قسم الملاحق فوجد رأينا لوجا هذه الملاحق بعد أن رأينا نوسم الكتاب
(٢) ابن أبي الرجال : المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق مخطوط .
(٤) انظر ما في قسم الملاحق .
(٥) كذا ورد اسمه في غاية الأمانى وفي الطبع باسم حنين بن يحيى الجدر .

لما ظهر منه العمل بعقيدة (الشطاحين) من الصوفية ومال إليه كتبه من الناس واستتابه الامام ولم يثبت (١) وقد توسع في هذا الخبر ابن أبي الرجال وهو ينقل عن مصدر قديم للزريقى وقال انه - أى الإمام شرف الدين - لم يكلف نفسه من صفة حسن بن يحيى الجدر كما فعل مع المبسى وذلك (لعدم رسوخ الجدر في المناظرة حسن بن يحيى الجدر كافتة صعدة وجد عند بعض متصوفها كتابا من العلوم) ثم (لما فتح الامام مدينة صعدة وجد عند بعض متصوفها كتابا من الفقه حسن الجدر فيه التحريض له على البقاء في التصوف وأنه لا يروعه الكلام والزجر من الامام شرف الدين فلما رأى الامام ذلك هم بقتله وأشار إليه بعض الحاضرين أن يحبس فأمر الامام ابنه على شمس الدين بحبسه ثم إن الفقيه حسن الجدر حلف بالله الايمان المغلظه أنه قد خرج عن هذا المعتقد سرا وجهراً وأن هذا الكتاب كان قبل استتابه ابن عطف الله المبسى ورسائله ، فقبل الامام عذره واشترت الحالة إلى شهر صفر سنة ٩٤٢ ثم ظهر منه البقاء على مذهبه المشؤوم وأنه من الكفر فأمر الامام بقتله في ضحوة نهار الجمعة ٢١ من شهر صفر المذكور بقلعة صناع (٢) .

ومكنا كانت علاقة الامام شرف بالصوفية تطور من سيء إلى أسوأ وأنها ليست بأحسن من سابقتها من الأئمة الذين تقدموه .

الصوفية والدولة القاسمية

بدأت الدولة بالامام القاسم بن محمد (حكمه من ١٠٠٦ - ١٠٢٩ هـ -) الذى يعتبر من فحول العلماء المصنفين وقد سبر أغوار مذهب الصوفية فلم ير فيه رأيا حسنا فكان من شأنه أن تصدى للرد عليهم في مؤلف كبير بعنوان (حلف

(١) يحيى بن الحسين غاية الأمانى ص ٦٨٠ .
(٢) ابن أبي الرجال مطلع البدر (مخطوط) .

أنت الإلفك^(١) شرح فيه قصيدة له أسماها (الكامل المتدارك في بيان حال الصوفى الخالك) وما جاء فيها قوله مرصفا بالصوفية :

فينا التلاوة والواظ والهداء والحق عندهم بركة محمد
فينا الصلاة والزكاة وصومنا وجهادنا أحد بذاك أحد
والرفق عندهم وكل محرم والمباحثات وقولهم أطرق مد

وعلى هذا السنن المعادى للصوفية إما كانوا كذلك الحادثة التي يروونها المزورح يحيى بن الحسين في كتابه بهجة الزمن يقول في حوادث سنة ١٠٧٤ (وفيها أو التي قبلها أحرق الإمام المتوكل على اسماعيل كتاب (القصص) لابن عربي بناء على ما فيه من كفر محمد^(٢) وكتاب القصص من كتب الصوفية فنحس من هذا العمل هذاء الإمام المتوكل على الله اسماعيل للصوفية وإن كان الأمر يبدو بسيطا نظرا لأن هذا الكتاب من الكتب التي يتبرى منها الصوفية المعتدلون ومع ذلك فما زال موقف العلماء تجاه الصوفية سيظرا على الأئمة حتى آخر إمام وهو الناصر أحمد بن يحيى عبد الدين الذي قام بهدم طريح الصوفى أحمد بن طوان في بفس وأخرجه أخرى لكبار الصوفية في المدينة وتم^(٣) وقد قلل القاهر محمد محمود الزيدى مثبوا إلى صلب الإمام ذلك :

كنك الجهد إما وافدا طبا أو باعنا أما أو مادما صنما
قد اقتلعت قباب الفرك متخذا مكاة البحر والهندية ليلخدا
حطم عقبرا عظم القمان جايه لولا عربتك العلماء ما انحطما
جرح على كبد الاسلام منسج وضعت فيه شعاع الشمس قاتلأما

(١) هذا الكتاب مخطوط ضمن كتب الياسم سنة ١٢٠٠ (علم الكلام)
(٢) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط)
(٣) زيارة : أئمة الدين : القسم الاول من ٢٠٠

وعلى العموم فإن الموقف بين المريقين كان موقف خصومة ومحاربة وفسد بين هذا العدا في القرن العاشر العلامة محمد بن يحيى جيران النول سنة ٩٢٧ الذي أخذ على صوفية زمانه هذاءهم القديد للأئمة يقول (ومن قانصهم مخالفتهم ومبايئتهم للأئمة فهؤلاء القوم الصوفية نبذوا أهل البيت ورواه ظهورهم وقرروا الناس من انبائهم ولجسورهم إلى الاتحاد في الدين بل المخرج من خيلة للسلط^(١) هذا من حيث هذاء الصوفية للأئمة أما من حيث هذاء الأئمة للصوفية فقد أشار إلى ذلك العلامة صالح بن مهدى القليل المتوفى سنة ١١٠٨ في كتابه العلم العامخ يقول (وقد من الله علينا في اليمن بحسم مادة الصوف في جبال اليمن بسبب الإمام القائم فيها وكان من أصل ما جاء به منع القولين^(٢) من الملب لأن ملذبيهم تحريم الغناء ومن غريب ما روى بعض العلماء أنه احدى للإمام (القصص) كتاب ابن عربي وكانت له جارية مسخوبة^(٣) قال لامة أوقفوا هذا الكتاب وأخبروا عليه قرصا وأطمعوه هذه الجارية فقتلوا فكأننا نخطى من مقال^(٤) ثم سألت الإمام من ذلك وحكيه له ما قيل فقال نعم

(١) ابن جيران : الكف والبيان (مخطوط) .

(٢) التمايل والرفق (تاج القروس) .

(٣) بقوله أو ما يظرب هذا للمنى (تاج القروس) .

(٤) ومن هذه الحكاية ما يذكره ابن الأثير من أنه (ولم يه طرس لمسيل زيادة على سنة ونصف ولم يتم فيه دواء وأعي الأبياء وجاني جسر هذاء سنة : يكتب اسم (الانسان الكامل) تأليف الجليل من كتب الصوفية ومنه القشور به على غير أنه) طالعت الكتاب وكنت قد قرأت الأولى منها من أيام ثم رأيت فيها ما هو والله كفر لا يردد فيه ذو لسان فمرقتها ثم جلست أوراها في القور وخير لي على فرحلتها نصيح وأكفته بنية النقاء من ذلك الهذاء فلحبت محمد الله الألم ونست الجبل أو أكثره وحضت الله تعالى على نصرة دينه) (أظهر جيران ابن الأمير ص ٢٢٩) .

فلما ذلك نفثت هذه الحارقة عارضت خوارق بن عربي (١) .

ومكثا كانت المداوة بين الفريقين يتوارثونها جيلا لجيلا وهي تميل في بعض الأحيان إلى أسباب سياسية بحثة كخشية بعض الأئمة من نفوذ الصوفية الروحي وتنفير العامة من اتباعهم كما رأينا في نص ابن جبران السابق أو أنها ترجع إلى أسباب مذهبية يتفق الأئمة بها مع فريق الفقهاء الذين نقدوا الصوفية لأسباب تتعلق بأمور الدين وخروج هؤلاء عن قاعدة الشريعة الإسلامية ولا يتعدى هذا العداء أحد الأمرين .

« استعمال الأئمة للصوفية »

وحينما وجد الأئمة أن صوفية اليمن يتمتعون عنهم وخاصة أولئك النفر الذين قطنوا المناطق السهلية وبعض بلدان الجنوب رأوا أن في ذلك خطرا كبيرا يهدد مركزهم الروحية والسياسية فإذ كان منهم إلا أن استعاضوا عنهم بجماعة من صوفية الجبال قريتهم إليهم واخذوا عليهم المال لعل فيهم ما يسد النقص ويبد عن الأذمان ما طلق بها من أن الأئمة كانوا يحاربون الصوفية والتصوف من حيث أصله فقد وجدنا الإمام الناصر صلاح الدين الذي قام بعمله في قتل الصوف الجليل أحمد بن زيد الشاذلي . يتقرب إلى الصوف الكبير إبراهيم ابن أحمد الكينسي المتوفى سنة ٧٩٣ هـ ويرحل إلى دمار لقصد زيارته وطلب الدعاء منه وكان يقول (استغفر الله من قصصنا في حق هذا الإمام (٢) ويقول للؤرخ يحيى بن المهدي (كان الإمام صلاح الدين يلازم الكينسي في كل عام إلى دمار وإن كان في صنعاء ففي الشهرين يزوره في الليل في خلوه خالية .) ولعله من الغرابة بمكان أن هذا الإمام الذي عرف عنه عدم ميله إلى الصوفية

(١) المجلد : العلم العائلي ٣٨١ .

(٢) يحيى بن المهدي : صلة الإخوان (مخطوط) .

كان على علم تام بعلوم الصوفية ومواجيدهم وقد اعترف له بهذا معاصر الصوف إبراهيم الكينسي يقول (يعلم الله أني ما وجدت في علوم المعاملة وعلوم أهل الحقيقة ووظائف هذه الطريقة ومكاشفاتهم في وقتي هذا أعرف من الإمام الناصر) (١) .

وقد حوت مكتبة الإمام الناصر بعض كتب الصوفية النادرة يقول من وقف عليها - وهو الكينسي السابق الذكر - (قد شاهدت عنده كتابا غريبة في علوم الزهاد وحكايات الأولياء ما لم أراه إلا عنده منها كتاب كيمياء السعادة للفرزالي وأجزاء من إحياء علوم الدين) (٢) ولعل ذلك من باب معرفة الشيء . وإذا كان هذا موقف الإمام الناصر بما أمر عنه من قتل الصوف الشاذلي لا يالك بينهم .

« مؤلفات الأئمة في التصوف »

على أنه يجب أن نعتبر سلوك بعض الأئمة المعادي تجاه الصوفية سياسيا بينما تقتضيه الأوضاع الخاصة بهم من حيث تنافس الفريقين في استئالة الناس عن طريق التأثير الروحي وبعض الزعامات الدينية . وإلا لما هناك مداوة . وقد رأينا بعض الأئمة المعتدلين الذين لا هم لهم في النفوذ السياسي يتساهلون مع الصوفية بل نهد منهم من لم يسكتف بهذا كما هو الحال عند الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ هـ الذي كان يردد التناء على الصوفية حتى أن الصوف عبد الله بن أسعد البافعي يستغرب من أن الإنكار على الصوفية لا يصدر إلا من قبل أهل (السنة) (مع أن إمام الزيدية العلامة الفاضل يحيى بن حمزة كان يستحسن القصيدة التي كتبها في التناء على الصوفية وقد أخبرني بعض الأصدقاء

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

قال رأيت في حراز من بلاد اليمن وقد أتى غازيا للإسماعيلية في جيش كثير فلما علم أني قاصد الحج قال لملك تأييني أو قال عسى أن تأييني بعسى من كلام الباقى (١).

إذن فلا تستغرب إذا وجدنا الإمام يحيى بن حمزة يضع مؤلفا حافظا للتصوف يعتبر من أهم ما تركه أهل اليمن في هذا الباب من حيث التقسيم وسلامة التعبير بل إنه يدخل من ضمن الكتب النادرة التي تناولت سلوك المجتمع على مستوى شامل وعالجت مسألة سبلات الأفراد الخاصة والعامة.

وهذا الكتاب - ويسمى (تصفية القلوب عن دنون الأودار والذنوب) (٢) بناء على أبواب رئيسية فهم منها معنى الكتاب وقضاياها وهي :
المقالة الأولى : في الرياضة وتهذيب الأخلاق :
المقالة الثانية :

المقالة الثالثة : في بيان الصفات المملكة .

المقالة الرابعة : في الصفات المنجية في بيان الأمور المعتادة نحو الأدب في الأكل والشرب إلخ ..

المقالة الخامسة : في بيان أخلاق النبوة وذكر المعجرات الباهرة .

المقالة السادسة : في الصلاة .

المقالة السابعة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المقالة الثامنة : في الزهد .

(١) الباقى : مراكمة الجنان ج ٤ ص ٣١٥ .

(٢) مخطوط بمسكبة الجامع برقم (٧٧) محفوظ ومنه نسخ أخرى مصادقة على الظاهر كتابنا مؤلفات حكماء اليمن .

المقالة التاسعة : في الغرور .
المقالة العاشرة : في ذكر الموت .

ومن هذا التقسيم يبدو لنا جليا تأثر الإمام يحيى بن حمزة بأسلوب النزالي في كتابه الإحياء حتى كان هذا دافعا للواسمى في القول بأن الإمام يحيى بن حمزة لم يأت كتابه بحر النزالي في الإحياء (٣) وما ذاك إلا من حيث التقسيم إذ في الكتاب أمور انفرد بها وحده كنظرته العامة للمجتمع وسياسته السلوكية الدينية .

على أنه لا مفرقة في اطلاع الإمام يحيى بن حمزة على كتاب الإحياء حيث تنهد قائمة كتبه إلى مؤلف مختصر بعنوان (عقد اللآل في الرد على أبي حامد النزالي) (٤) انتقد فيه القسم الناعم بالسماح من كتاب الأبياء وهذا دليل على قراءة الإمام رحمه الله الإحياء .

والآن وقد عرفنا إيجاب الإمام يحيى بن حمزة بالصوفية وتأليفه في علومهم فلا طينا إلا أن تلخص إلى غيره من الأئمة الذين اهتموا بالتصوف وفنونه فمنجد في قائمة مؤلفات الإمام المهدي أحمد بن يحيى المراضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ هذا عناوين توضح باهتمامه بهذه الناحية ككتابه (تكملة الأحكام والتصديقات من براتين الآمام) (٥) وله عليه شرح في مؤلف ضخم بعنوان (ثمرات الأكام) (٦) وهذا الكتاب على به جمع فقه من صوفية اليمن فخر حواء وطلوا عليه كشرح صلاح الدين الجعافى المتوفى سنة ١٠٥٣ وشرح الحسن بن أحمد الجلال

(١) الواسمى : فرجة اليوم والمخزن ص ١٩٥ .
(٢) مخطوط : بمسكبة الجامع برقم ١٠ جامع .
(٣) مخطوط : بمسكبة الجامع برقم ٧٥ صوف .
(٤) مخطوط : بالمسكبة البريطانية برقم ٢٩٢٧ .

(٥ م - - تصوف الفقهاء)

المتوفى ١٠٨٤ هـ وغيرهما وللإمام المهدي عدة رسائل مختصرة تدخل ضمن كتب
الصوفية كرسائله (حياة القلوب المهيأة لعبادة علام الغيوب)^(١) و (الزهرة
الواهرة بتخفيف الدنيا وتنظيم الآخرة)^(٢) وغيره .

وآخر من تذكره من الأئمة المؤلفين في التصوف الإمام عز الدين بن الحسن
المتوفى سنة ٩٠٠ فقد ترك في علم التصوف كتاباً جيداً بعنوان (كنز الرشاد وزاد
المعاد)^(٣) وهو يتميز على سائر الكتب المصنفة في علم التصوف عند اليعنبيين بحسن
التبويب ووضوح العبارة وقد قسمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وهو في عمومته
يدور حول الجوانب العقلية من التصوف ولم يتعرض إلى شيء من العلوم التي
تبرزها الصوفية من أبعاد ابن عربي بل سجدته يحذر في مقدمة الكتاب من تلك
العلوم (العاطفية) وينقل في ذلك قصيدة جاء فيها قوله في الرد عليهم :

تركوا الفرائع والحقائق واقتدوا بطرائق الجهال والضلال
فاحذرهموا واحفظ مودة سادة قاموا بذكر الله في الأصال^(٤)

ومكنا تنابع مؤلفات الأئمة في التصوف إلا إنها تدور كلها حول الجوانب
العملية من التصوف ولم نجد أحداً منهم يخوض في فلسفات صوفية أو أفكار تبعد
على الجانب البني المأثور عن جيل الصحابة وزهاد المسلمين .

مَدْرَسَةُ ابْنِ عَرَبِي فِي التَّصَوُّفِ لِيَمِينِي

(١) مخطوط : مكتبة الجامع رقم ٢٧ فرائض .
(٢) مخطوط : مكتبة الأميروزي و آخر مكتبة الجامع رقم ٦٠ مجاميع .
(٣) طبع سنة ١٣٤١ بتصحیح الشيخ عبد الواسع الراسي ثم أعيد طبعه أخيراً وصدر
ضمن مؤسسة فضائل التجارية .
(٤) عز الدين بن الحسن : كنز الرشاد ص ١١ .

ابن عربي واليمن

لا توجد هناك صلة تذكر بين الشيخ معين الدين بن عربي واليمن إلا إذا اعتبرنا هذه الصلة من خلال نسبته إلى قبيلة (طى) (١) التي يعتبرها المؤرخون من القبائل اليمنية ويسلمون نسب جدهم طى إلى قبيلة كملان اليمنية .

وحسب هذه النسبة يبدو أنها بعيدة جداً حيث أن قبيلة (طى) سكنت (جبل أجا وسلمى) من بلاد نجد فكانت ديارهم من دون (فهد) إلى أقصى (القريات) (٢) ولم تسكن في اليمن ، ومن هنا لا ترى صبيبا في جعلها من القبائل اليمنية إلا إذا اعتبرنا ذلك من خلال جدهم الأول .

ومن الغريب أن يرحل الشيخ ابن عربي إلى شتى بقاع المعمورة دون أن يرحل إلى اليمن، وقد كانت قرية منه جداً حينما كان في مكة . يقول بلاهوس وهو أحد رحلات الشيخ أنه رحل إلى مراکش وتونس ومكة ومصر وبغداد والوصل والقدس وأنطاكية ودمشق وحلب وقولبة (٣) . وما كان أقرب من اليمن من كل هذه الأماكن . لولا أن الشيخ ابن عربي قد خفى من خطورة المعنى .

١ - اليك سلسلة نسب الشيخ معين الدين ابن عربي كما ذكرها مصطب التراجم :
عبد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحافى الأندلسي المرسى (العهد العثماني ج ٢ ص ١٦) .

٢ - خير الدين الزركلي : الإعلام ج ٢ ص ٢٢٧ .

٣ - أمين بالاسيوس : ابن عربي ص ٥٣ .

إلى اليمن وخاصة أنها قد شهدت في هذه الفترة معارك طاحنة بين الصوف القديسة
والمستحددة ولا نستبعد ذلك فقد عاصرت هذه المرحلة قيام الدولة الرسولية
وما صاحبها من حروب عنيفة ليس للشيخ ابن عربي قدرة عليها على أن ابن عربي
لم يبت كل الرشاخ التي تربطه باليمن حيث استعاض عن رحلته إليها باللقاء مع
جماعة من علمائها الكبار منهم المحدث اليمنى الشهير محمد بن إسماعيل بن أبي
الصيف المتوفى سنة ٦٠٩ الذي ذكر اجتماعه به وأخذ منه في كتابه (الفتوحات
المكية) (١). وهو اليمنى الوحيد الذي صرح باسمه في كتابه.

مدرسة ابن عربي في اليمن

إذا عرفنا هذه الصلة العنيفة بين شخصية ابن عربي واليمن فسنجد أن اليمن
قد حوت تلك باحتضانها لتعاليمه منذ مدة مبكرة.

وكانت البداية أولاً على يد جماعة من الصوفية اتفقوا معه في المذهب الصوفي
ولم يكن لهم به صفة. فقد شهد القرن الذي توفي فيه ابن عربي تبلور تعاليم
المدرسة (الأشراقية) عند صوفية اليمن الذين قد يكونون متأثرين فيها بالمصادر
التي أخذ منها ابن عربي نفسه، ولا نستبعد ذلك حيث نهد أفكار الحلاج ومن
سار في مسلكه قد راجت في اليمن قبل هذا التاريخ بعدة ليست بالقصيرة.

وقد تماطى هذه الفلسفة الصوفية جماعة من رجالات اليمن الكبار كان على
رأسهم الصوفي اليمنى الكبير أبو الفيث بن جميل الذي حملت كتاباته الصوفية
طابع المدرسة الفلسفية سواء إن كان متأزراً فيها بأبن عربي — على الرغم من
معاصره له — (٢) أو بأسلافه من الأشراقية أمثال الحلاج والسهروردي

(١) ابن عربي : الفتوحات المكية ج ١ ص ٧٥٧.

(٢) ولد الشيخ أبو الفيث سنة ٥٦٠ هـ تقريباً وهو نفس السنة التي ولد فيها ابن عربي
على أن أبا الفيث تضرع بعد ابن عربي بمدة طويلة.

ولغيرهما. وقد أراد الأهدل ابن ينفى الكتاب المنسوب إليه بأقوال لا تستند على دليل
مذهب بانيه وصريقول (واعلم أن الكتاب المذكور من المدح إلى المدح أي الفيت جميل يقع
فيه كتبه مما يشبه مقالات ابن عربي من الاتحاد لكن الكتاب لا يصبح له سند
يعتمد عليه لأن المشهور أن الشيخ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف حق
محقق ضابط كتبه عنه بل جمعه من جمعه من مقالات متفرقة لا تثبت أحادها بروايات
عنه صحيحة مسموعة) (١) وبما حاول في هذا الصدد أن يرجع نسبة الكتاب إلى
الشيخ أبي بكر البجليوى أحد المتشبهين إلى مدرسة ابن عربي من المتأخرين (٢)
ودعوى أن الشيخ بن جميل كان أمياً لا تفي عنه أن يصف كتابه بواسطة الإملاء
على أحد مربيه كما فعل في رده على رسالة الإمام أحمد بن الحسين يقول الجندي
(لما وصل كتاب الإمام إلى الشيخ قال لبعض أصحابه اقرأ كتاب الفريفة فلما
فرغ قال يا غلام على بدواة وقرطاس فلما حضر قال الشيخ اكتب إن نصرحك
الله الخ) (٣) وهذا يدلنا على أن الشيخ كان باستطاعته أن يصف كتاباً بواسطة
الإملاء كما فعل حين كتب جواب الإمام ولا يصح أن نعتقد قول ابن الأهدل
مادام الكتاب منسوباً إلى الشيخ أبي الفيث والمهم أننا نستطيع أن نؤصل تعاليم
ابن عربي في اليمن من عصر الشيخ أبي الفيث الذي أدرك حياة ابن عربي وكان
قد أثر عنه في كتابه الذي أشار إليه ابن الأهدل ما يقبى أفكار الشيخ ابن عربي
مثل قوله (أن الكون كله صورة واحدة ظاهراً شريفاً وباطناً حقيقة) (٤)

(١) الأهدل : كشف النطاء ص ٢٢٠

(٢) الأهدل : نفس المصدر والمنحة .

(٣) الجندي : اللوك (مخطوط) .

(٤) الأهدل : المصدر السابق ص ٢٨٠ .

وقوله (لا شك أن التوفيق شقاء تشبه إيمان كل مخلوق هل قدر علمه ومعرفته سواء كان موافقا للنبي (ص) أو مخالفا له بقينا) (١) ومن ذلك قوله (من عرف الله انكرو وجوده الفلق وصار أمل الجنة والنار يأمره لحر ما يشاء) (٢) ومن أقواله في هذا المذهب (إن طائر الفجر يفتح بلسان الأزل ويرتل في سحر الأبدية) (٣) إلى غير ذلك من أفكار نجد ما عند أتباع ابن عربي.

ومن الذين يدخلون في زمرة مدرسة ابن عربي من صوفية اليمن القدامى الشيخ أحمد بن طوان المتوفى سنة ٦٦٥ وكتابات من مزيج من الوهظ الصوفي وبعض الأفكار الفلسفية حتى أن المستشرق ماسينيون عده من جملة أتباع الحلاج (٤) الذي يبحث غالبا في الوهظ الديني وبعض الأفكار الصوفية الفلسفية كما أنثرنا سابقا على أنه استحدث في كتاباته نوعا جديدا من التعبير بلغة غريبة ومع أنها لغة خاصة به ولا يبدو الأمر أن يكون من أسباب افراطه في الرياضة ومن نظرة سرية إلى حناوين كتب يتضح لك تلك الوجهة التي تميز بها تأليف ابن طوان من ذلك كتابه (البحر المشكل الغريب) (٥) وكتاب (الفتوح المصورة والأسرار المخروقة) (٦) وكتاب (التوحيد الأعظم) (٧) وغيره.

(١) المصدر السابق: نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ماسينيون جلة للورد العدد ٣ سنة ١٣٩٢ ص ٦٢ بل نسب إلى ابن طوان كتابا جنونا ذكرى الحلاج.

(٥) مخطوط بالسكينة الأصفية.

(٦) مخطوط بمجمع ترم بمصر موت في جلد ضخم.

(٧) مخطوط بمكتبة الماسم ٨٥ تصوف: المكتبة القزوينية.

وبذلك الرجلين - ابن أبي الفيف وطوان - قامت مدرسة الفلسفة الصوفية في اليمن إلا أن قرنها المباشر من صرا ابن عربي لم يجعلها مستغنيا عن كتاباته الخاصة وإنما كان ذلك من خلال المشرب الفوق الذي عرفه به عالم هذه المدرسة وهم ينهلون جميعا من الانبعاث الذي سار عليه أصلا فيهم في مرام في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية.

على أن تكون مدرسة ابن عربي في صورتها الحقيقية التشيئة إليه كان في القرن السابع بواسطة أحد القادمين إلى اليمن - ولم يكن للأطال يد في حياتها - إذ تنسب لتأليم ابن عربي في اليمن إلى قادم هو الصور أبو الخطاب عربي عبد الرحمن بن حمدان المتوفى سنة ٦٨٨ هـ وقد أتى إلى اليمن بأمر من بيته نجم الدين الأخرى كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق ولكن للقدس فيها منطقيا وحل إلى نحو فمين بها مدرسا بمدرسة أم السلطان في مغربة (١) وهذا الشيخ هو الذي أدخل كتب ابن عربي إلى اليمن ولم تكن معروفة من قبل (٢).

وقد ائتمركو في اليمن بظهور جماعة من التلاميذ أمثال محمد بن سالم ابن الهاء الذي تقرب بحب مذهب ابن عربي فكان يتباحث هو وشيخه في طرم التصوف بما لا تختمه العقول (٣) إلى أن اتج ذلك وجود أول نزاع بين الفقهاء والصوفية كما سنبينه فيما بعد.

وما كاد ابن الهاء يتوفى حتى تأتي أفكاره غرسها في شخص تلميذه رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عمر الجبوي المعروف بالهزاز يقول

(١) من إحدى أقدام مدينة تمز الرئيسية بعد المدينة والحالب.

(٢) الأمدل كشف النطاء ص ٢١٨.

(٣) الجنى السلوك مخطوط.

الخزرجي (ربما أخذ عن ابن المقدسي) (١) وقد تصوف وصحب كبار الصوفية من أهل اليمن وغيرهما ثم حج إلى مكة ولقى بها جماعة من مشايخ الصوفية. وفي مكة حصل على مؤلفات ابن عربي وانتسخ كتاب الفتوحات المكية فمكف عليها واعتقد ما فيها ثم عاد إلى اليمن ونشر بها تعاليم ابن عربي.

وهذا الرجل هو من أنقط أنصار ابن عربي في اليمن وأكثرهم خبره بأمر اللطافة فكان يقرب إلى (تقهاء نمر وغيرهما مع تحققه أنهم يكرهونه وربما أسأوا إليه وأحسن إليهم) (٢) إلا أنه كانت له مع رجال الدولة علاقة حسنة فلم يستطع التقهاء أن يمسوه بأذى يقول الخزرجي (وحصل بينه وبين الملك المؤيد اتلاف وصحب قبل تحول الملك إليه واعتقد صلاحه ولما صار للملك للالأشرف نفوذ وخرج هو وجماعة من المتبعين إليه من نمر إلى ناحية وصاب. ولم تنض إلا مدة وجيزة حتى مات الأشرف وتولى المؤيد فاستبدطه وأكرمه) (٣) وربما تناطى شيئا من الأمر بالمعروف والنهي عنه المنكر خلافا لزملاءه من الصوفية فكان ينفذ في إبطال الخمر (ولما اشارته انتقلت الأوقاف من حكام النجاش إلى أرباب الهواوين ولم تكن من قبل إلا إلى حكام الشرح الشريف) (٤) على أن الأصل - كعادته في الإنكار على هذه الطائفة من المتبعين إلى ابن عربي - يستريب في هذا المسلك ويقول (لعله فعل ذلك تقربا إلى الدولة السلطان الجائر من الإهمال) (٥) توفي ابن الخوازم بعد انتقاله إلى مدينة زيد

- (١) الخزرجي: الفهرست الأول ج ١ ص ٣٨٩
- (٢) الجندى: السلوك مخطوط.
- (٣) الخزرجي: طراز أحلام الزمن مخطوط.
- (٤) الخزرجي: الفهرست الأول ج ١ ص ٣٨٩
- (٥) الأصل: كشف النظار ص ٢١٨

٧٠٩ هـ ويقول النجاشي وبموت ابن الخوازم تنقضى مرحلة أول من مراحل إبداع ابن عربي في اليمن (٦) ولا يتجدد أمرهم إلا بعد النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.

في هذا التاريخ يعود شأنهم في النشاط بأعظم مما سبق ويكون لهم حوله كبرى تثير حفاظ العقلاء وتسبب نزاعا كبيرا أصبح حديث الناس في وقتهم ووقت من أتى من بعدهم والذي يهمنا في هذا الفصل هو تتبع نقاط مدرسة ابن عربي في اليمن دون الالتفات إلى القضايا التاريخية التي تبرز من ذلك قد استغل أمر هذه الطائفة الصوفية وأخذوا يتجاسرون في الدخول في القضايا الفلسفية الصوفية بمعرفة وبدون معرفة وأغلب الظن أنه يتعاقب عليهم وصف الإمام يحيى بن حزة في حديثه عن غرور الصوفية يقول (أدعوا علوم المعرفة ومساعدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال ولا يعرفون هذه الأمور إلا بالأساس وبمجرد العبارات ولا يحيطون بشئ من معانيها بل قد يلقطوا من كلمات صوفية وهم يرددونها ويظنون أن ذلك علم من علوم الأولين والآخرين) (٧) بل قد وصل بهم الأمر في الدخول في هذه المسألة إلى أن جماعة من صوفية زيد (كانوا يتعاطون الخمر ويقول أحدهم للآخر وعزق لأن تعطيني الكأس لأرسلك للخلق أو نحو ذلك وأن بعضهم يقول للآخر سبحانك وإن رجلا عاب رجلا منهم فقالوا له انسب الله وإن بعضهم يقول هذا الجدار هو الله) (٨) إلى غير ذلك من أمورهم التي أدى إليها فهمهم الخاطي للتصوف الفلسفي والفنوني

- (١) الأصل: المصدر السابق قلا من النجاشي في كتابه الغرور والخمر في الآداب والسير.
- (٢) يحيى بن حزة التصفية مخطوط.
- (٣) الأصل: كشف النظار ص ٢١٨

استعمال نظرياته المعروفة عند أبياع ابن عربي وهذا يدلنا على أن تلك الفلسفة قد شاعت حتى عند عامة الصوفية بدليل تلك الأفعال الطائفة التي لا تصدر إلا من جماعة العوام.

وكانت مدينة ريد مصدر ذلك الراج الكبير لنشاط الصوفية من أنصار ابن عربي وذلك على أثر احتضان أكابر صوفيتها للمعتقدين كالشيخ اسماعيل الجبري جماعة من أبياع ابن عربي وبعض تلامذته أمثال ابن الرداد والزرجاني مع أن هؤلاء يجب أن يبرؤوا من أفكار ابن عربي ولعدم مشاركتهم فيها ولم يصمم بها أحد من الذين أرخوا لهم حتى خصومهم^(١) الذين طعنوا عليهم في سلوكهم بتقريب أبياع ابن عربي والتورود إليهم، وأغلب الظن أن نشاط عماليم ابن عربي في مدينة ريد لا يعود إل أكابر متصوفها بقدر ما يعود إلى الصوفية القادمين إليها من بلدان مختلفة وقد رأينا فيما سبق كيف أن المقدسي القادم من بيت المقدس أول من أسس طائفة من الصوفية منتمة إلى ابن عربي، وعلى هذا التقدير يمكننا أن نرجع انتشار عماليم ابن عربي وإحيائها للمرة الثانية خلال القرنين الثامن والتاسع للميلاد إلى آخره من الشيخ عبد الكريم الجيل المتوفى سنة ٨٠٥ الذي يعد من أكابر الفلاسفة المتصوفين ويكنى أن نعلم أن كتابه (الإنسان الكامل) يعد دستور المتصوفين الذين شاركوا ابن عربي في فلسفته. وقد اعتبره ابن الأمدل (من قدماء أصحاب الشيخ الجبري)^(٢) ويقول في وصفه (هو أملك في ذلك البحر - يعني القول بالأحاد ووحدة الوجود - وقد اجتمعت به قبل أن أهرق عليه بآيات حسين. سكن لي منه قلب صادق أنه صعب في بعض أقواله فسمع منه أثناء العظيم على ابن عربي وطوره وكتبه وسمع منه التصريح برؤية كل

(١) انظر السابق.

(٢) الأمدل: تحفة الزمن (مخطوط)

من هؤلاء في الطريق من إنسان أو طائر أو شجر^(٣) ومنتوك خطورة هذا الرجل إذا عرفنا أن كتابه نسج في تلك فلسفة ابن عربي وأن بعضها ليس إلا نرج عليها أو بكلمة لها ككتاب^(٤) (الأسفار عن رسالة الأنوار)^(٥).

أبياع ابن عربي في القرن التاسع

على أنا إذا تتبعنا أسماء المتبعين إلى مدرسة ابن عربي من أهل اليمن خلال هذه الفترة فنستقدم جماعة من الصوفية تشبهوا بحسب ابن عربي دون أن يكلفوا أنفسهم فهم مذهب وما وصل إليه ومن ثم أتى انتعاشهم إليه مجرد أحباب شكل لا يفتدي المضمون فهم لم يخطروا معه في مشاركات علمية تخيف جديدا إلى هذه فلسفة لا من حيث المشاركة في التصنيف ولا من خلال المناقشات العلمية.

وقد ظهر من شكاية هؤلاء جماعة كثرة سنكتفي منهم بذكر أولئك الذين عاصروا معصية النزاع بين الفقهاء والصوفية، وسنعتبر ثبات أولئك على بدهام الصوف دليل قوي على انتعاشهم لمدرسة ابن عربي وتشبههم بتعاليمه.

لبن هؤلاء الصوف اليمني أحد المعبيدي الذي لم تظهر له بترجمة خاصة وهو غفر الوزير أحمد بن عمر بن معبيد الذي تولى الوزارة لملك الأفضل سنة ٧٩١ واستدعاه ابن المقرئ في ديوانه^(٦) وترجم له الخورجى وباء خرمه^(٧) أما المعبيدي المقصود هنا فقد أشار إليه الأمدل في تاريخه وعده من أصحاب الشيخ اسماعيل الجبري وقال (هو من أملككم صرح عتاته قام في سماع وأخذ الفوف وقال هذا هدى أفضل من منهاج النوى)^(٨) وفي موضع آخر وصفه بأنه من أهل

(١) الأمدل: كتيب النظم ص ٢١٤.

(٢) رسالة الأنوار من مؤلفات ابن عربي.

(٣) ابن المقرئ: مجموع ابن المقرئ ص ١٦٥.

(٤) بلخرمة: تاريخ قمر عدن ج ٢ ص ١١.

(٥) الأمدل تحفة الزمن (مخطوط) ويصنف منهاج النوى كتاب (مناجيات العالين من أساليب كتب العائقة في اللغة تأليف العلامة يحيى بن شرف النوى للتول سنة ٦٧٦.

أصحاب الجبرتي يكتب ابن عربي . توفي في حدود سنة ٨١٥ هـ .
ولعل هذا الرجل هو أكثر زملاءه معرفة بعلوم ابن عربي بدليل تلك الحجة
التي شنها عليه ابن الأمدل ووصفه له بالاطلاع على كتب ابن عربي وفهمها .

أما بقية الذين عاصروه من المتبعين إلى مدرسة ابن عربي فهم الذين وافقوه
من حيث الشكل كما أشرنا سابقاً وقد ذكر المرحوم جماعة منهم كالشيخ عبد الله
ابن عمر السن . من أصحاب الشيخ الجبرتي وربما وقف عنده الأشهر الطويلة
وكان من العلماء المتفهمين والأولياء الكبار (وله فهم صحيح في كتب الشيخ
ابن عربي وحصل منها عدة كتب ككتاب (القصص) وشرحه للشيخ
مريد الدين الجندى وشيء من الفتوحات المكية وغير ذلك لما اوضح له فيها
من المهم ونحقق للمعنى وصحة هذه وكان له في الشيخ يحيى الدين ابن عربي
اعتقاد حسن (١) .

ومن هؤلاء الشيخ قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم من أهل مدينة
(روم) قريبة من مدينة القصر وكان يتردد إلى مدينة زبيد للاجتماع بالشيخ
اسماعيل الجبرتي (واستشارته كتاب الفتوحات المكية ، للشيخ يحيى الدين
ابن عربي وقته في مدة قرية) (٢) .

وأخر من تذكرهم من أصحاب ابن عربي المتبعين إليه روحياً من أهل
البيش الشيخ عبد الكريم بن محمد بن إبراهيم الواسطي وقد سعى إلى مكه ليرى
الحصول على نسخة كاملة من كتاب الفتوحات المكية وكان قد (سافر من مدينة
زبيد إلى مكة المشرقة على قسم التبريد لا يملك شيئاً من المال ثم أنه حصل بخطه

(١) للرحماني : نهاية السالك (مخطوط) .
(٢) المصدر السابق .

في سنة واحدة (١) .

ولا نجد فيما أوردناه من تراجم هؤلاء ما يوحى لنا بمشاركتهم في تعاليم
ابن عربي من خلال الكتابة والمناقشة ، وكل ما في الأمر لا يبدو تأييد أن يكون
فكلاً لفكر ابن عربي والتقرب إليه عن طريق انتاء كنه وإظهار الإعجاب
بخصيته كما أسلفنا سابقاً وأهل بعد هؤلاء من المشاركة في تراث ابن عربي
يعود إلى سنيين رئيسيين لا ثالث لهما إما لقصور أفهامهم عن استيعاب ما وصل
إليه ابن عربي من أفكار فلسفية متقدمة وأحياناً مضطربة . . وأما نحاسياً من
غلبة الفقهاء تحوهم وخاصة وأنهم عاصروا حدة نفور الفقهاء وإظهار
الأفكار عليهم : وقد رأينا ابن الرداد وهو في مركز القوة (حيث تولى زمام
القضاء العام) يساهم بما يحبه المشاركة في تعاليم ابن عربي حيث عدله ابن الأمدل
هذه مسائل لها فيها منحنى ابن عربي كقوله (بهراز اتصال العبد بصفات ذات
الحق تعالى) (٢) وقوله (يقدم الفقر وانصافه بصفات الازلية) (٣) ومن مسائله
أيضاً (تحقير قول لا اله الا الله) (٤) بل نجد له رسالة مفردة عالج فيها مسائل الصوفية
بكل شجاعة (٥) .

ونقول ابن حجران (شعر ابن الرداد ينطق بالانحياز وأنه أفسد عقائد كتبه
من الناس) (٦) .

وكان ابن الرداد حين رأى حيز فريق الصوفية من مجابهة الفقهاء اضطر إلى
أن ينوب عنهم بعد أن ضمن لنفسه أكبر سلطة ممكن أن تحكم عليه وهي سلطة
القضاء الأكبر وهكذا كتب ابن الرداد مؤلفاته تلك وهو في شجاعة أمة .

(١) المصدر السابق (مخطوط) .
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) : نسخة الزمن (مخطوط) .
(٧) السخاوي : الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٦ .
(٨) ابن حجر أبناء البشر ج ٣ ص ٢٧٨ .

أسباب انتشار فكر ابن عربي خلال هذه الفترة

على الرغم من عدم وجود العلماء المتبحرين من مدرسة ابن عربي فقد حظى تراثه والذين ياقبال كبير . وقد الحنا فيما سبق إلى إناشار تعاليم ابن عربي في مدينة زيد خلال القرن الثامن والتاسع حتى أصبحت كتاباته مداع لكل طوائف الصوفية باليمن بما فيه أولئك العوام الذين ارتكبوا عفوات يرى منها الصوفية أنفسهم ولا تليل لذلك سوى هذا الإقبال العامل الذي لقيه فكر ابن عربي .

ولقاتل ان يقول ما المر في انشار تعاليم ابن عربي وكثرة انصاره خلال هذه الفترة من دون غيره من القراء مع تصدى الفقهاء لهم ومضايقتهم في أكثر الأحيان . وهذا السؤال أول ما يتبادر إلى الذهن حينما نفكر ذلك التواح القديم بين الفرقتين أثناء هذه المرحلة .

على أني سأحصر أسبابه في أمرين رئيسيين :

أولها : كثرة الراغبين إلى مدينة زيد واليمن عامة خلال العصر الرسولي بما يحمله أولئك من نعل وأفكار مختلفة وقد أتوا في صور مداوئش ورماد متأكجين فاحظهم العامة وأصبحوا موضع احترام حتى إذا تمكنوا من نفوسهم بثرواتهم الأفكار الصوفية بما فيها تلك العقائد الفلسفية ومن هنا جاء قبول العامة لتصرفهم انتشاره بمدينة زيد وسترى فصل مستقل كيف كان أثر هؤلاء القادمون على الحياء الصوفية في اليمن وتحويلهم لتعاليم ابن عربي وغيره من صوفية الفلاسفة الإسلاميين

ثانياً : ذلك الانفتاح التام الذي عرفته هذه الفترة ووجود الحرية الكاملة في استيراد حتى الثقافات وقد لعبت زيد في صيرها لذهنية خلال حكم بني

رسول بكثير من الأفكار التي تحملها الكتب المختلفة الإجماعات بما فيها كتب ابن عربي وإتباعه . وقد ذكر الأعدل جماعة من الصوفية الذين استشهدوا كتب ابن عربي من بلدان مختلفة واعتوا بها العناية التامة أمثال المراجعي الذي يقول عنه ابن الأعدل — حصل كتب هذه الطائفة — أي إنباع ابن عربي قومه على ذلك باليسار فحصل الفصوص وشروحه والفتوحات المكية وغير ذلك من كتب تلك الطائفة فأولع الصوفية بمطالعتها) على أن المراجعي يعترف مر نفسه باقتناء هذه الكتب ويذكر ذلك في معرض كلامه مفتخراً كذكره قصة حصوله على نسخة كاملة من كتاب الفتوحات المكية ودخولها مدينة زيد يقول أثناء حديثه عن الواسطي السابق الذكر (وكنت قد حصلت نسخة كاملة بمدينة زيد من كتاب الفتوحات وجدتها عند الفقيه شهاب الدين أحد الفارسي)^(١)

ولم ينحصر إقتناء كتب ابن عربي على فئة الصوفية وحدهم بل ليجدما في خزان ملوك بني رسول وقد ذكر المراجعي أنه توجد نسخة من (الفتوحات المكية) بمكتبة السلطان الناصر بخط مؤلفها يقول في حديثه عن الراعي (وقد حصل من الفتوحات نسخة جيدة لنفسه ثم قابل النسخة وضبطها واجتهد فيها غاية الاجتهاد وانفق لنا وله نسخة من الفتوحات المكية من مولانا السلطان الملك الناصر اطارنا أياها لتقابل عليها من الخزانة الممورة وعلى اجراء منها خط المصنف الفقيه ابن عربي)^(٢) ويؤيده في هذا الصد معاصره الشيخ المرشد إبراهيم ابن عبد القادر القاري البغدادي الذي زار اليمن وذكر (أنه اجتمع في خزانة الناصر على ما بلغتني من مصنفات الفقيه ابن عربي عالم يجتمع في خزانة غيره من

(١) الأعدل ، نسخة الزمن (مخطوط)

(٢) المراجعي : حجة السالك .

(٣) المصدر السابق .

آباء الملاحين المتقدمين كالاشرف والافضل والمجسّد والمؤيد والمظفر
 والصور (١) ...
 ثم طفت موجة كتب ابن عربي في مدينة زبيد وأصبح الناس يجمعونها في
 الاسواق تباع وتفتري - كما يقول ابن المقرئ مخاطبا لطلباء مصره
 تباع وتفتري هذه الكتب فيكم وأنتم سواء والذي في القاهرة (٢)

طاعة ...
 ...
 ...

...
 ...
 ...

النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن

(١) القاري مناقب ابن عربي ص ٦٤ .
 (٢) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ١٤ .

نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية خارج اليمن

كان القرن الثالث الهجري عصر الثقافات وازدهار العلوم الإسلامية ونشأ الوقيعة كان من منافسة وجدال عنيف بين أصحاب المذاهب والفرق الطارئة على الاسلام وقد اشتهر في هذا الوقت جدال علماء المسلمين الزنادقة وأصحاب الديانات المختلفة.

ولقد خطت هذه النقاش بين المذاهب الإسلامية نفسها لضرورة التماثل الكل أمام التحديات السافرة من قبل أصحاب الادهان الاخرى في حين كان من المحتمل أن يكون هناك صياح بين تلك المذاهب الإسلامية نظراً لأنها كانت في طور الازدهار والمصارعة من أجل البقاء.

ونحن ذلك لم نجد هناك صياحاً حقيقياً إلا ما كان يدور حول مسائل فرعية بسيطة لا تهم في كثير من الاحيان إلى احتكاك شديد.

ومن هذا النقاش ما جرى في ذلك العصر بين الصوفية وأهل السنة وهو أول صراع يدور بين مائتين الطائفتين وقد توهم زيادة طائفة المتأله الذين عرفوا بكفاحهم العنيف حول العقيدة الإسلامية.

وبعد كان الإمام أحمد بن حنبل المصوب إلى هذا المذهب هو أول شخص في الاسلام تلبس لقب الصوفية وانصرافهم وقد رأينا أنهم بعض المتن إلى المذهب الصوفي ويصمم بالخروج من الدين نهائياً ويقال له طامع المذهبين - أحد الصوفية في عصره - يتحدث في شره من علم الكلام والصفات فخره.

فاغضى المحاسبي في بيته إلى أن مات وكان ابن حنبل يقول (احذروا من الحارث
— بنى المحاسبي — أشد التحذير وكان يقول لأصحابه بعد أن سمع يهتف
كلامه لا أرى لكم أن تهالسوه (١) .

ومكذا كان الإمام أحمد بن حنبل أول من أثار النزاع بين الصوفية والفقهاء
لم تال بعد ذلك الانسكار على هؤلاء من قبل العلماء تقى مصر النكر الإمام
عبد الله بن عبد الحكم المتوفى ٢١٤ على لى التوت المصرى لهجرة بذلك علماء مصر
ما شاع أنه أحدث علماء لم يتكلم به السلف حتى رموه بالوحدة (٣٤).
وفى دمشق تفرأى سليمان النوارى حين سمع منه أنه يرى الملائكة وأنهم
يكلّمونه وكذلك مرى أحمد بن أبى الحوارى لا شهد عليه القوم أنه يهتزل الأولياء
على الألسنة (٣٥).

موسم هذا الحصاد بالنسبة لسائر البلاد الإسلامية كهند واندلس والمغرب وغيرها.

على أن مبتدأ إنكار العلماء على الصوفية وربط أحاط بذلك الأفكار التي
أحدثوها مما جعلت العلماء المستعصمين بالهزيمة يرون في أفكارهم الفلسفية
خطراً يهدد من الدين وحتى لا يخطئ الزمام وتصبح أصول العقيدة التي
لكل من عب من عبادة الصوفية والمفسدين فيها يتلاعبون بها وفق خواطهم
ومراسمهم

وقد نجات هذه الحادثة في التصرف أو الأمر على يد الحارث المحاسبي
فأقرن قتال الذي اشتمل من بعض كتبه مصطلحات الديانة المسيحية

(1) لمن طهرت: الذين اجتمعوا في صلاة واحدة
(2) من طهرت: الذين اجتمعوا في صلاة واحدة
(3) من طهرت: الذين اجتمعوا في صلاة واحدة

(٢) قسم المصير .

١٠٠ - ائمة كل مائة بالصراية (١) -

(صاحب دلائل) رحمه الله تعالى
 ثم ظهر بعده جماعة من الصوفية تكلموا في التوحيد والمقائد فخطروا فيها
 والآراء عليهم حفاظ العلماء حتى كان منهم ما كان ويقال أن أول من تكلم
 في طم المقائد والتوحيد من الصوفية هو أبو الحسن السري المتوفى سنة ٢٥٢ هـ
 الذي يقال أنه أول من تكلم في المقامات والأحوال وكذلك أبا حمزة محمد بن
 إبراهيم الصوفي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ الذي كان أول من استحدث مصطلحات
 الصوفية المستعملة عندهم ثم تتابع جيل الصوفية من المتخلفة حول خاطراتهم
 الصوفية فظهر فيهم صوفية كبار طوروا هذا المذهب أمثال أبو يزيد البسطامي
 الذي أحدث لفظة (السكر) وأبو سعيد الخراساني الذي كان أول من فكاه (الفناء)
 وحدوث القصار الذي ابتدع طريق الملامه وعنه انقصر مذهب الملامية في نيسابور
 وغيرهم كثيرون .

حتى أن هؤلاء الصوفية بعدد هم قد خرجوا عن طريقهم الأولى التي هي
مراتب ملوكهم مع الله والخوف منه مع رغبة خالصة في العبادة والزمودقة
نحوها من كل هذا إلى فلسفات ومناهج تكاد تخرجهم عن صفن الدين الواضح ،
فلا مع أنه (لم يكن في مذهب أولئك القوم أول أمرهم شيء من مذهب الدين جاؤا
بهم) (٢)

وإذا تحققت هذه المسألة فلا حرج أن يتعهد بعد ذلك الفقهاء على الصوفية باعتبار أنهم قد خرجوا من القاعدة الشرعية فكان منهم ما كان حتى وصلوا للمألة فووتها بمقتل الحلاج وما حدث بعد ذلك في أمره من نزاع ومهادنة لا ينبغي أن ننحصر فيها لاهوتها وبكفى أن نشير إلى مقدمات هرب الفقهاء في

(١) آدم - هو الحضارة الإسلامية في القرن الرابع و هذا قوله ولعل به بنى على طهنا
الإمام الجليل فيجب الصقل من هذه النبهة في كعبه .
(٢) المصدر السابق

(٢) المصير السابق

امتحان الصوفية وكانت سيار رئيسيا في تطور النزاع بينهما . وقد شهد القرن الثالث لولده بواهر هذا التفات وهو القرن الذهبي بالنسبة لازدهار فنون وفنائه فيه ظهر كبار مشائهم المرجوع إليهم ومع ذلك لم يكن يبرج الصوفية وإماماتهم مما يندفع له الفقهاء فقد قدمنا فيما سبق أنهم أنكروا على المحاسين وذو النون المصري والدارقني وغيرهم بعض من سلوكهم الصوفي ومزلاهم الجيل الأول من الصوفية الذين سلكوا النهج الفلسفي في تصوفهم وقد طهرهم جماعة من الصوفية لقوا نصيبهم من المعارضة فهذا أيا يزيد البساطي كان يقول لمرآج كما كان النبي (ص) مرآج فذكر ذلك للفقير حبيب بن عيسى ، فأمر بإخراجه من بسطام وظل مختفيا في مكة حتى توفي هذا الفقير ومن أوائل الصوفية الذين تعرضوا للمحنة سهل بن عبد الله التستري الذي لقي من الناس مضايقة إلى أن اضطروه إلى الهجرة من مدينته وغيرهما كثير ويكفي أن نعلم أن بواهر النزاع بين الفريقين قد حدثت عند استكمال الصوفية تمايلهم الفلسفية خلال القرن الثالث فكان (أهل السنة) المتشككين بالثروة القديمة (السلفية) ينكرون على الصوفية حثوية (١٤) . وكلما تطور الصوفية في طوعهم كلما اتسعت حرة التفات بين الفريقين وقد خلصنا تاريخ الإسلام أحيانا كثيرة في ذلك لا أراي في حاجة إلى ذكرها إذا الموضع من العناية بحيث يستحق أن ينفرد بحديث مستقل ومع ذلك فمأنا من هذه العناية عند إمامنا الرئيسية لتعرف كيف واصلت الخصومة بينهما حتى انتهى بها المطاف إلى اليمن عند قوة الصوفية وحلف الفقهاء أو العكس .

وسيدكر تاريخ النزاع بأسماء أعلامه من الفقهاء الذين تصفوا لرد على الصوفية وعلى رأسهم الفقيه الجليل الحديث الإمام أحمد بن حنبل للتوفيق سنة ٢٤١ هـ الذي تخافنا سبق إلى شيء من نزاعه مع الحاسبي وإنكاره عليه وتلايه جماعة من الحكماء على الصوفية ، منهم لولئك القفر الذين اغتروا بقتل الحلاج وتلبينه

(١) المصدر السابق ٢٤٤ ص ٤٨

بن الفيلقاني وبند كرون من هؤلاء الفقهاء أبا عمر القاهي وهو أول من أفتى بقتل الحلاج وشاركه في هذه الفتوى داود الظاهري وجماعة من فقهاء القرن الثالث بل لم يقتصر الأمر على الفقهاء وحدهم فقد تمداهم إلى طائفة الصوفية أنفسهم من المعتدلين الذين استهجنوا تلك الأفكار الشاطعة من قبل الحلاج وأضرابه أمثال الجنيدي الذي يقال أنه كان من ضمن المعتدلين بقتل الحلاج والصوفي عمرو بن عثمان ابن سريج وغيرهم (١) .

ويصل ابن الأمدل في القرن التاسع مسلك أولئك الرواد من المفكرين على الصوفية في القرن الثالث الهجري بقتلهم الحلاج فيقول (لا شك أن من شهد الواقعة وعلم القصة فهو أعرف بالحال من المتأخرين فلولا أن الذين شهدوا الواقعة تحققوا حاله وثبت على الوجه الشرعي ما يقتضي القتل ما قتلوه ولا صلبوه معاذ الله أن يظن ذلك بعلماء الشريعة على رؤوس الأشهاد فكان ذلك إجماعا وصوابا فلا ريب في تكفيره (٢) .

ويأت هذا الكلام بقصد قطع الإفاويل التي ترى تسرع الفقهاء في ذلك الوقت بقتل الحلاج وقد جاء مثل هذا القول في كلام المتأخرين من الصوفية وبعض الفقهاء .

على أن بدعة الحلاج قد انتشرت شأنها وأخذت في التفتي إلى أن وصلت أقاصي المغرب ولم تعد محصورة في نطاقها العرفي إذ وجدنا هذه المدرسة تؤصل جذورها في الأندلس من خلال جماعة من معتنقي المذهب الحنطلي في القرن الرابع الهجري أمثال ابن مسرة الذي اقتبس منه ابن عربي مذهبه الفلسفي منذ مدة مبكرة . وكان ظهور المنكرين من الفقهاء ضرورة حتمية أمام التوسع الفلسفي للصوفية

(١) الأمدل: كيف القلاء ص ٢٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٠

في تلك الاصفاع فكان يورد الفقيه الغزالي محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ كنهرا و اظهار ذلك في كتابه المسمى (منك ستور الملحدين) (١) الذي رد فيه على فلسفة ابن مسرة بـ ٥٠٠٠ بداية حنة تمطينا دليلا قاطعا على إنكار الفقهاء في تلك الاصفاع على الصوفية ولا اغالى اذا قلت أن كتاب الزبيدي هو أول مؤلف خصص في الرد على الصوفية و فلسفات النظرية .

ومكذا زرى أن عدة الصوفية بالفلسفة قد تمت جميع الاوساط الاسلامية شرقيا وغربيا وما صاحب هذه الفلسفة من إنكار وتبع من قبل الفقهاء الذين لم يسلوا لهم نظرياتهم حتى لانكاد نقبى إلى المصور المتأخرة (القرن السابع وما بعده) إذ بطلنا جمهور كبير من المنكرين كل منهم قد أخذ بجانب من الرد على الصوفية وقد ساعد على ذلك ظهور مؤلفات ابن عربى وانتشارها بين أيدى الناس فكان من السهل الوقوف على أدق نظرياتهم بعد أن كان جيلهم الأول يتخفى بها ويرى البناء من العلماء خفية من الاحتكاك معهم في قضايا كلابية نجعلهم فيها هو أشد ومن هنا جاء ذلك الحشد الكبير من العلماء المنكرين على الصوفية الذين قامت شهرتهم على هذه الناحية لى أدهمهم العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ومن تلامذة هم في الحقيقة مفرقون من بحرهم وابن تيمية يعتبر مدرسة قائمة بذاتها في نقد الصوفية

وكانت منهلا رئيسيا لكل من تصدى الرد على هذه الطائفة بما فيهم طاء البيه الذين ضلوا بالرد على الصوفية . والتأمل لكتابات هؤلاء في هذا الصدد يجد أثر ابن تيمية واضحا عليهم . حتى أن هذا الاعتماد الكلى كان دافعا لأحد صوفية لبنى إلى القول بأن المنكرين على الصوفية ليسوا إلا نبعا لأن تيمية يقولون بقره ووافقون على الخطأ والصواب (٢) بل إن هذا الصوفى — وهو العلامة محمد بن محمد المزجاجى — يرجع مبتدا الإنكار على الصوفية إلى هذا الرجل (٣) أى به ابن تيمية وهو قول فيه بعض الغلو ومجانبة الحقيقة إذ نجد الإنكار على الصوفية يعود إلى ما قبل عصر ابن تيمية بزمان طويل كما أسلفنا ذلك فيما سبق . وقد تركزت نظرية ابن تيمية في نقد الصوفية على دراسة مؤلفات ابن عربى ونقد محتوياتها المخالفة وهو الذى أثار عليه قضايا رئيسية رددتها كل من أتى من بعده من المنكرين على الصوفية فكان العلامة ابن تيمية أول السابقين بكفها .

ثم تبع ابن تيمية وعمل آخر من المنكرين منهم من أدركه وأخذ عليه كالعلامة محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وإسماعيل بن عمر ابن كثر المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ومحمد بن أبى بكر ابن القيم الجوزى المتوفى سنة ٧٥١ هـ (٤) ومنهم من

(١) المزجاجى : حناية السالك (مخطوط) .

(٢) للمصر السابق (مخطوط) .

(٣) تراجع هذه المسائل التى أثارها ابن تيمية في كتبه التى خصصها في الرد على ابن عربى ككتابه (الطريق الأقوم في الرد على نصوص الحكم) و (القرآن بين أوليا الرحمن وأوليا الشيطان) وقاواه المخططة .

(٤) من التريب أن يأتى أكثر المتقدمين على الصوفية من الذمب المنبل فكانهم بينا للسلك قد قلدوا إمام منعبهم الذى كان أول من اتفقد الصوفية ولا غرابة في ذلك فالنابغة كما يقول الدكتور عدنان زرزور (تحقيق صدورهم بس مداهم من أهل المنابع الأخرى) انظر كتاب (الحاكم الجسمى) ص ٤٧ .

وحول هذه المسألة تراجع بحثنا المخطوط بعنوان (ثورات المبالغة) .

(١) أنظر مقدمة تحقيق (كتاب الواضع لى علم العربية) للزبيدي تحقيق أمين على السيد ص ٣٧ ومن الفقهاء الذين تابوا اتباع ابن مسرة العداء وردوا عليهم الفقيه محمد بن تقي بن منقذ فى سنة ٣٨١ هـ يقول من ترجم له (تميم أصحاب ابن مسرة الاستجابة من عطفه منقذ وأخرى ما وجد عندهم من كتبه ووضع كتابا في الرد على ابن مسرة ونقض آرائه (الاعلام ج ٧ ص ٢٦٠) وحول موضوع ابن مسرة وقيام الفقهاء ضده فى الأندلس تراجع كتاب (شيخ مصر فى الأندلس) للدكتور حسين مؤنس ص ٦٣ — ٦٥ .

تأخر عصره إلا أنهم في عمومهم يحومون حول السبيل الذي حاش حول ابن
بينة ومنفصلهم فيما يلي .

في القرن الثامن - وهو القرن الذي تلا جيل ابن بينة - انفجرت
معركة حامية الوطيس بين الفقهاء والصوفية في مصر والقام وذلك كتجربة حثية
للافكار التي بناها ابن بينة في التأليب على الصوفا . ونج في هذا العصر انقاذ
من الفقهاء كان لهم دور رئيسي في جدال الصوفية وموقف لا يلبس واستقر
أهمية هذا الموقف وهذه العمق إذا أدركنا أن هذا العصر كان يمثل انقصار
الصوفية على الفقهاء ورجحان كفتهم في تراجم معهم الذي سيكون بداية عهد
أمة الصوفية يمارسون فيها شتى شعاراتهم بعيدا عن إنكار الفقهاء وإفلاقهم ،
ومع ذلك فقد كان لمدرسة الحديث التي أحيا رسومها العلامة أحمد بن حنبل
حجر في القرن التاسع في مصر والشام أثر في عودة الناس إلى الكتاب والسنة
ونجد الدعوى طرأت على المتدينين من أهل هذا القرن وقد لبغ على يده جماعة
من المتكبرين على الصوفية الذين تعصبوا بتعاليمه ومنهج في العودة بالناس إلى
الأصول الإسلامية الأولى ومن هنا جاء نفر من التلامذة الأقوياء فطبخوا فكر
شيعي و الإنكار على الصوفية كالعلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي
المتوفى سنة ٨٨٥ والعلامة عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥ وهو عهد الرحيم
بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ ونجهم كثير إلا أن هؤلاء كانوا المحر
من أخصر على الصوفية وكانت كتاباتهم مصدر قلق شديد للصوفية وقد تصحروا
لرد عليهم في أكثر من مناسبة من ذلك أنه لما أشتهر مؤلف البقاعي في الرد على
الصوفية المسمى (تبيين النبي بتكملة عمر بن القارض وابن عربي) أنار هذا
الكتاب المتصورة فاختدوا بنظرون في ذمة القطعات الكثيرة وقد انفجرت حتى
أصبح نقال بين العامة كقول المنصوري ، أحد شعرائهم :

إن البقاعي بما قد قاله مطلب
لا تحسبوه سالما قلبه يعاقب

وهو في هذه الآيات يشير إلى تلك الخصومة التي وقعت بين البقاعي وأحد
محدثي ابن عربي وهو الشيخ عمر الوهاب بن محمد بن التاج الذي كان من كبار
أهالي ابن عربي ومناصريه حتى وصفه أحد معاصريه (بأنه كان يطوف بكلام
ابن عربي على المجالس وفي الأسواق ويصرح بأعقاده بل قيل أنه صنف في إيمان
وعرن وكذا رد على البقاعي) (١) .

وما تلك الخصومة التي جرت بين الرجلين سوى مثال بسيط لتلك المهادلات
التي كانت أوساط المثقفين خلال القرن التاسع وما بعده وقتها يطار عالم من
أخصر في هذه المسألة حتى إننا نجد العلامة شمس الدين السخاوي من أهل ذلك
قرن يجيب على كثير من الذين ترجم لهم (٢) تأييدهم لابن عربي والمشاركة له
في طروقه في حين يذكر الذين أنكروا عليه بالثناء والتقدير ولا غراهة في ذلك
فالرجل كان من أبرز العلماء الذين انتجتهم مدرسة ابن حجر العسقلاني وهو
نفسه قد وضع كتابا حافلا في الرد على ابن عربي (٣) .

وهكذا انفجرت قضية ابن عربي وأصبحت مما يؤرخ له بالسنين . يقول ابن
أبى في حوادث سنة ٨٧٥ (وفيها ذهب بين العلماء معركة في أمر ابن العربي
وابن عربي كانت حامية الوطيس إذ ألف الكتيب ووضع المصنفات في نفسه
بل تكفهر لمخالفته ظاهر الشريعة كما ألف كذلك كتب في الدفاع عنه ودحض

(١) السخاوي: الضوء اللامع ج ٥ ص ١١١

(٢) في كتاب: الضوء اللامع السالك الذكر

(٣) عنوان هذا الكتاب هو (القول الثاني من ترجمة ابن عربي) وسيل ذكره
ليأيد .

نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن .

يتضح لنا مما سبق أن النزاع بين الفقهاء والصوفية كان أمراً شائناً عرفته المجتمعات الإسلامية من قبل ، وليس ظاهرة انفرد بها الفكر اليمني وحده ففى العام ومصر كان أمره أقوى مما عليه في اليمن وخاصة أثناء الفترة التي سبقت النزاع في اليمن بمدة قصيرة حيث نجد ابن تيمية قد اذكى جذوة الشقاق إلى أن تحولت المسألة من جدال فكري إلى حادثة تاريخية تحدثت عنها كتب التاريخ .

ولكن كيف كان أمر النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن وهل أتى ذلك دفعة واحدة أم له أصول تاريخية قديمة تدرج عنها حتى انتهى المطاف إلى ما انتهى إليه ، هنا يحتم علينا البحث قبل الدخول في تفاصيل هذا النزاع أن نعرض سريعاً للأصول العقائدية التي عرفتها اليمن قبل نشأة الصراع والتي نعرفها المذاهب الدينية . وسندرك أهمية هذه المذاهب بالنسبة للصوفية هناك نعلم أن بعضها كان يقف موقف الخصم لكل المذاهب الطارئة على الإسلام بما فيها التصوف وعلى رأس هذه المذاهب جميعها المذهب الخليلي الذي كان لا يتابع دور فعال في مناهضة الصوفية إلا أنه من الحقائق التاريخية المسلم بها أن اليمن شهدت ذلك المذهب منذ مدة مكررة^(١) بواسطة جماعة من معتقديه الذين دخلوا

كلام المراضين عليه والمكفرين له) ومن الذين تقضوا عليه في هذه السنين يرمون الدين البقايى وابن الشحنة وغيرهما كثير ومن مؤيديه والتصفيق له الشيخ زكريا الانصارى والشيخ الجلال ابن الكمال الاسيوطى وغيرهما . وذكر ابن اياس كتاباً في الرد على من انتقد عليه ككتاب قمع الممارض في الرد على من انتقد ابن الفارض السيوطى ودرياق الاماعى في الرد على البقايى لبعض العلماء ومؤلف آخر البدر ابن الفرسى^(٢) .

وفي هذا النص نجد دليلاً حاسماً على أن مسألة ابن عربى أصبحت من القضايا الهامة التي غطت الراى العام خلال القرن التاسع مما دفع العلماء المحافظين إلى التوضيح فيها بكل قواهم .

على أن هذا القرن كان بمثابة الانتفاضة الاخيرة في وجه الصوفية ولم تعد تعد ذلك التكلل المشهود الذي يقوم به العلماء ضدهم وذلك بعد أن طفت موجة التسليم للصوفية والاستحسان لتعاليمهم بما فيها تلك العقائد (الشاطعية) . وكان القرن العاشر والذي يليه هو عصر سلطة الصوفية وتقديس العامة لهم وقد اشتد نفوذهم على أثر احتضان ملوك آل عثمان^(٣) لتعاليمهم فلم يظهر هناك صوت يذكر في الإنكار على الصوفية حتى انتهى بهم الأمر إلى التماهى في رسومهم الصوفية والايغال في فكر ابن عربى دون خشية من سلطة الفقهاء اياهم وغيرهم .

(١) ابن لياس - بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٧ . (قلا عن كتاب الأدب الصول
الدين السليم) لصالح حين ص ٢ - ١ .

(٢) يقول بلاسيوس (زاد سلاطين آل عثمان الاجلال لابن عربى لاذ نسبوا الى بركاته وشفاعته الفضل في جميع ما ظفروا به من انتصارات وخصوصاً فتح القسطنطينية واحتضوا ابن ابن عربى تباراً بهذا الفتح لهذا فان سليم خان أمر ببناء مسجد باسمه وبناء مدرسة كبيرة على ضريحه) . انظر كتاب ابن عربى : حياته ومذهبه ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٩٥ .

(١) يقول المؤرخ باخرمة في قتله عن الجندي والمزرحى (الغالب على فقهاء جبال اليمن نصر الجندي ومآبله اعتقاد مذهب الخنايل وأما في عصر المزرحى فقد اختلف اعتقاد بعض الفقهاء للمذهب الاشعرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك خوفاً على أنفسهم من جهة بلادهم . يقول باخرمة : واعلم أن علماء اليمن لم يكونوا يوافقون الخنايلة في جميع معتقداتهم من التجسيم وغيره ثم يوافقونهم في القول والصوت والحروف ومن وافق على مؤلفاتهم في أصول الدين اختلف في ذلك وأما اليوم فجميعهم أشعرية ومتظاهرون بذلك ظله الحمد ولله) عاش المؤرخ باخرمة في القرن العاشر الهجرى .

اليمن في القرن الثالث أمثال العلامة الحسين بن جعفر^(١) المراغي وغيره .

على أن هذه المذاهب قد شهدت نقاشا حقيقيا فيها بينما رأينا ذلك واضحا في أكثر من حادثة كملك التي وقعت بين العلامة يحيى ابن أبي الخير الصمراني المتوفى ٥٠٨ هـ وبين العلامة المتكلم جعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقد أسفرت المناقشة عن مؤلف جيد لابن أبي الخير الصمراني ضمن الرد على ابن عبد السلام وهو بعنوان (الانتصار في الرد على القدرية الأشرار) رده على كتاب ابن عبد السلام المسمى (الدامغ الباطل من مذهب الخنابل)^(٢) هذا من حيث الجدال بين المذهب الحنبلي والمذهب الزيدي أما من حيث الجدال بين المذهب الحنبلي والمذهب الأشعري فقد مثل هذه الحادثة العلامة ابن أبي الخير الصمراني السابق الذكر وابنه طاهر الذي كان يعتقد المذهب الأشعري وكان بينهما جدال عنيف كان سببا في هجر الابن والده والذهاب إلى مكة^(٣) ودونك هذا الانتماء القوي الذي يفرق بين الابن وأبيه على أن الغلبة كانت في النهاية للأشعرية^(٤) . ولم يعد للحنابلة شأن يذكر في اليمن .

ومكذلك الجدال بين المذاهب الاعتقادية في اليمن سببا رئيسيا لانحلال العلماء عن الصوفية ردها من الزمن حتى لم تسكد تفتي المصنعة وبفرغ الفقهاء

وانفسهم إذا بهم يحدون الصوفية بين ضبرائهم يارسون من المسائل الاعتقادية مامو أفتح . فإكان منهم إلا أن أعادوا الكرة واففقوا في ما بينهم لمواجهة القوم وقد اتحد أشعريهم مع حنبلهم مع زيدهم فكان هذا التمزج المتجانس من الزهد التي صبغت النزاع بطابع محبب وكانت سببا في وجود الفرق بين الجانبين فالفقهاء قد أشبهوا الأعداء في وجود الصوفية ووافقوا في ملاحقتهم كتابيا حتى كان ذلك مصدر نهضة فكرية عظيمة خاض شعارها جماعة من علماء اليمن منجدها أولا في كتابات أهل القرن الثامن وهو عصر النزاع بين الفريقين . وهذه الكتابات تحتاج إلى دراسة مستقلة لما انطوت عليه من قضايا تاريخية وأخرى فكرية ستكون مرجعا شاملا لمن يريد التوسع في معرفة المجادلات الفكرية في البلاد .

على أني سأكتفي باستعراض المؤلفات دونما حاجة إلى الإغفال في دراستها إذ بعض هذه المؤلفات لا يعطيني الفرصة في الحديث عنه بتوسع لعدم وجوده بمرزقي الآن فإن أقدم مؤلف في هذا الشأن - فيما أرى - يعتبر من الكتب المفقودة وهو كتاب (نصيحة المتكلمين ونصيحة المتكلمين)^(١) . . . لفتية محمد بن موسى الذوال المتوفى سنة ٧٩٠ هـ وهو في الرد على الصوفية وبيان تكلفهم في أمور العبادة وقد كان هذا العلامة أول من أشير^(٢) الإنكار هل

- (١) ذكره الخزرجي في كتابه طراز أعلام الزمن (مخطوط) .
(٢) لم أول من كتب في الرد على الصوفية من اليمنيين هو المؤرخ والفتية محمد ابن يوسف بن يعقوب الجندى المتوفى ٧٣٧ هـ الذي ينسب له السخاوي نرسنوى في شان الطائفة الصوفية أوردها في كتابه (القول المنى من ترجمة ابن عربي) وما يؤيد منه النسبة إليه نصيحة العديد على الصوفية في كتابه (السلوك في طقات العلماء والملوك) من ذلك قوله (ان ابن عربي له معتقد غريب منه اعتقاده ان فرعون مات على الاسلام محقق وغير ذلك مما هو مشهور عنه في كتبه وانكره اعيان الفقهاء) .

- (١) تولى سنة ٣٢٤ هـ انظر ترجمته في طبقات فقهاء اليمن لابن سمره ص ٨٣ .
(٢) انصدر السابق ص ١٨٠ وانظر حول مناظرة الصمراني لابن عبد السلام كتاب (السلوك) الجندى (ومطلم البدور) لابن أبي الرجال
(٣) ألبندى : السلوك . ويقول البربري في تاريخه انه لما اظهر طاهر الصمراني الفتنة الاشعرية أجمع الفقهاء في الإنكار عليه وكان من أبرزهم الفقيه احمد إبراهيم البربري للقلب بسيد السنة .

- (٤) انظر ما جاء في الهامش رقم (١) من الصفحة السابقة .

الصوفية بالكتابة وكان أكثر الجدال المستعربينهم قبل القنوال جرى بواسطة
المناقشات والجدال الكلامي لا غير وهذا العلامة بعد ترجمته عند الكثيرين من
مؤرخي اليمن^(١) إلا أنهم لم يذكروا شيئا عن نزاعه مع الفقهاء ويبدو أنه كان
مستقرا في الإيماء على الصوفية ولم يدخل حلبة الصراع إلا عن طريق قلعة قصى
عبر به في الإسكاردون أنه يكلف نفسه مدقة الجدال الكلامي الذي قد يطلب
قوة بيان وضاحة، ومع ذلك كان الصوفية يرمون جانبه وقد ذكر المزاجي
أنه حين صنف كتابه في الرد على الصوفية أراد أن يعطى مصنفه هذا الخطيب
عمر المملوك^(٢) ليقراء على الناس في المبر بعد صلاة الجمعة وقد استاء الصوفية
من هذا العمل ودعوا إلى الله أن لا يتم ذلك (فحصل في نفوس أصحاب الشيخ
إسماعيل الجبرتي ما حصل وكنت - أي للمزاجي - ممن تأمر من ذلك فلما
خرجنا يوم الجمعة لزيارة القبور ورجعنا إلى المسجد خطرت لي أن أدخل على سيدي
الشيخ علي بن موسى الذرالي واطلعت بذلك وذكرت له ذلك فكان جوابه أن قرأ
قوله تعالى (وليس جناهم شيئا) فخرجت من عند سيدي وأنا مسرور بهذا
الجواب سرورا عظيما فبحثت إلى سيدي إسماعيل الجبرتي واطلعت بذلك فسر
بجواب الشيخ مع أن سيدي الجبرتي ما كان معه أكثر من ذلك وتأثر منه بل
كان ذلك مع الجماعة الأصحاب فلما صلينا صلاة الجمعة بالجامع وكانت نفوس

(١) انظر - مثلا - عند المزرجي في طراز اعلام الزمن وتاريخ البيهقي وفيه
الزمن للأعرج وشية الوفاة للسيوطي ص ١٠٨ .

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن المملوك . . خطيب جامع زيد . يقول المزرجي : كان واحد
زمانه في الخطابة لم يكن في عصره مثله في ناحية من اقطار اليمن أقام خطيبا في جامع زيد
لعمر من حين سنة توفى سنة ٧٩٩ هـ : القواعد المؤلفية ج ٢ ص ٢٩٥ .

بعض الناس متعوفة إلى ذلك بما قد شاع واشتهر من كلام الشيخ محمد القنوال
كان بعد الصلاة من ذلك شيء بل احتمل ذلك الخبر وعند فلم يظهر ذلك للصفة
بعد ذلك ولا علم لها خبر^(١) ومن هذا النص يتضح لنا تأثر الصوفية بممارضهم
من الفقهاء - ولا حيرة بقول المزاجي أن الشيخ الجبرتي (ما كان عند
أكثر من ذلك) فلما أراد أن يدفع عن شيخه تهمة الخرف من الفقهاء .
والهم أن كتاب الذرالي كان فاتحة ورود عديدة وضما بعده مجموعة من
العلماء على الرغم من أن الكتاب قد ضاع في عصر المؤلف (ولم يظهر له طبع
ولا خبر) كما يقول المزاجي .

وقد جاء بعده العلامة أحمد بن أبي بكر الناصري المتوفى سنة ٨١٥ هـ ومرو
حية في نقد الصوفية سنعرض له فيما بعد عند حديثنا عن النزاع بينه وجماعة
الصوفية - وكتابه في انتقاد الطائفة الصوفية بعنوان (بيان فساد مذهب ابن عربي)
ركوبه على عقائده (الشاطحة) وحلل مسائلها . ثم تلاه أبو بكر بن محمد
الحياط (توفي سنة ٨١١) وكان أحد الدعامات الرئيسية في النزاع وقد اشتهر
كتابه في الرد على الصوفية فأقامهم وأقدمهم وتصدى لرد عليه الشيخ محمد الدين
القبوري أبادى في كتابه (الاغتياب لمعالجة ابن الحياط) فكان هذا لذلك سيا
لزمه من قبل العلماء ووصفه بأنه (كان يحب المدارة)^(٢)

أما وقد دخلنا حموة النزاع فما هي قد تناولت المصنفات التي تضر لنا ذلك
الترغ من القرب العلمي الذي وصل إليه اليمن خلال مرحلته الزاهرة بمدينة
زيد فجاه بعد الناصري الفقيه محمد بن علي بن نور الدين الموزعي المتوفى ٨٢٥ هـ
وكان من شأنه في المخرجه في هذه المسألة ما سنذكره فيما بعد وكتابه في الرد
على الصوفية بعنوان (كشف الظلمة عن هذه الأمة) حل فيه حلال

(١) للمزاجي : هداية السالك (مخطوط)

(٢) ابن حجر المصلائي : (إنباء النسر) ج ٢ ص ٤٩ .

ابن عربي (١) ونقده في مواضع من كتابه الفصوص بقول الاهدل (ان الموزعي قد سبق فيه الفقهاء بتحقيق حال ابن عربي بمطالعة الفصوص وغيره من كتب وكتب اصول الدين (٢) ولا تدري ما يفتنه به الاهدل من قوله (سبق فيه الفقهاء) فاذا كان يقصد به السابق التاريخي فلا شك انه تقدم الموزعي بعض الاعمال الراجعة في نقد ابن عربي كما بينا ذلك سابقا وإذا كان يقصد به (السبق) بمعنى الاجادة والتبريز على من هداه فلا شك في ذلك وقد كان كتاب الموزعي مصدرا لكثير من الذين تناولوا الصوفية بالرد كما هو الحال عند الاهدل نفسه الذي نقل كثيرا من كتابه (٣).

ثم كان ظهور ابن المقرئ واشتبار امره في مقالته بتكفير الصوفية من اتباع ابن عربي حتى كادت هذه الناحية أن تطغى على شخصية ابن المقرئ الفقيه الاديب فلا أحد يذكر ابن المقرئ إلا برده على الصوفية ومع انه ترك في نقد الصوفية مؤلفا مستقلا بعنوان (الرد على الطائفة الصوفية القوية) إلا ان هذا الكتاب لا يكاد يعرف بجانب قصائده السيارة في تكفير الصوفية التي حل بها ديوانه ويبدو أن هذا الكتاب قد جمعه من حصيلته السؤالات والجوابات التي كتبت حول شأن الصوفية ولم يعتمد تصنيفه كببحث مفرد.

على أن من آثار ذلك النزاع المحتدم بين الفقهاء والصوفية مؤلفات أخرى لا تزال تحفل بها المكتبة اليمنية وقد ذكر الأخ عبد الرحمن الحطرمي في قائمة مصادر كتابه (جامعة الاشاعة) (٤) مؤلفا بعنوان (الافوال الواضحة الصريحة

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال صفحة ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢١٨ من كتاب كشف الغطاء .

(٤) عبد الرحمن الحطرمي : جامعة الاشاعة ص ٧٢ .

فيما حدث بوادي زيد من المناكر القبيحة (لفتية موسى بن محمد الضجاعي المتوفى ٨٥١ هـ ومع أنني لم أطلع على هذا الكتاب إلا أني أكاد أجزم بأنه من ضمن الكتب التي تناولت الرد على الصوفية لأن الفقيه موسى المذكور كان أحد الذين ساهموا في النزاع القديم بين الفريقين في القرن التاسع وقد وصفه استخاوي بأنه (كان من أكبر القائمين على منتحل مذهب ابن عربي في اليمن بحيث أنه كان الخطيب في جامع زيد بالمشور المكتوب بالاشهاد على الكرهاني بهجر كتب ابن عربي) (٥).

ومن بصمات الواقعة على المكتبة اليمنية أيضاً مؤلف العلامة الحسين بن عبد الرحمن الاهدل المتوفى سنة ٨٥٥ هـ المسمى (كشف الغطاء) الذي يعتبر من الآثار الجيدة التي خلفها الفقهاء في نقد الصوفية ومؤلفه كان قد أدرك ردحا من الخصومة التي وقعت بين الفريقين في القرن التاسع وقد صور لنا شيئا منها في كتابه المغار إليه وكتابته في التاريخ المسمى (تحفة الزمن) وله مؤلفات أخرى حول هذه القضية سنعرض لها في موضع آخر من الكتاب (٦) على أن الاهدل بما أقدم في الرد على الصوفية إلا بعد أن عرف حقيقة حالهم وتمرس بأمرهم بقول (لم أزل في شيبتي وشيبتى اتصفح مذهبهم من كتبهم وكتب أهل السنة حتى اطلعتني الله على حقيقة مذهبهم وأنه اخبث النحل واكفر المأل) (٧) وقد توسع الاهدل في الرد على الصوفية واعتبرت مؤلفاته في هذا المضمار آخر الصبغات التي تعالت في الرد عليهم من قبل الفقهاء أثناء نزاعهم الشهير في القرن التاسع ، ويحق لنا أن نعتبرها القول الفصل بما تميزت به من استقصاء ومناهضة.

(١) السخاوي : الضوء اللامع ج ٩ ص ١٩٠ .

(٢) في الملحق الخامس بجرايم أعلام النزاع وقد حنفاه بعد تضيغ الكتاب .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٣ .

وقد سكنت الفقهاء بعد الاهدل بمدة طويلة ولم نعد نسمع صوت الانكار
إلا بعد انقضاء زمن طويل على عصر التصادم في القرن التاسع سکن خلالها
الفقهاء فكف عنهم الصوفية .

إلا أن القرن العاشر بما عرف به من تحرك ملموس في أمور السياسة
والثقافة بعيد لنا سيرة النزاع الأول بينهما وكأن هذا القرن قد عرف شيئاً من
التصادم بين الفريقين على أثر قيام الإمام شرف الدين بمحلته السابقة ضد الصوفية .
ففي هذا القرن ظهر كتاب الشيخ العلامة عبد الله بن عمر (بامخرمة) المتوفى
سنة ٩١٢ هـ (حقيقة التوحيد) وقد اطلع على هذا الكتاب المؤرخ يحيى بن الحسين
في القرن الحادي عشر (١) وجاء على أثره مؤلف الشيخ محمد بن يحيى بهران
المتوفى سنة ٩٥٧ هـ المسمى (الكشف والبيان في الرد على متصوفة الرومان) وهو
استجابة واضحة لتبرير موقف الإمام شرف الدين في اضطهاد الصوفية ومع ذلك
فإن هذا الكتاب نادراً ما يذكر في قائمة مؤلفاته وقد أيد نسبته إليه المؤرخ
يحيى بن حميد المتوفى سنة ٩٩٠ هـ صاحب كتاب (نزهة الانظار) وغيره .

ولكنه من أتى بعد بهران من العلماء الناقين على نمط ابن عرب الصوفية
نرى أن نعددهم هنا في هذه القائمة القصيرة مراعاة للاختصار :

١ - يحيى بن حميد بن الحسن المقرئ المتوفى سنة ٩٩٠ هـ وله (تعليقات)
على كتاب ابن بهران المشار إليه سابقاً .

٢ - أحمد بن شايح الدعامي اللوزي المتوفى سنة ٩٩٣ هـ وله مؤلف بعنوان
(نصوص العلماء في تخطئة الصوفية) (٢) وهذا الكتاب يفسر لنا وجهة نظر
الزيدية في معاداتها للصوفية بصفة عامة :

٣ - يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ هـ : في مواضع من كتابه بهجة
الدين (مخطوط) .

٤ - صالح بن مهدي الملقب المتوفى سنة ١١٠٨ هـ (العلم الدامخ في إنبار
الحق على الآباء والمشايع) يراجع نقده للصوفية في هذه الموسوعة الضخمة من
نصف ٤٩٠ إلى ٥١٠ .

٥ - أحمد بن عبد الله السلمي المتوفى سنة ١١١٦ هـ له مؤلف في الرد على
الصوفية (٣) .

٦ - محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى ١١٨٢ هـ مؤلف مفقود في الرد
على أهل وحدة الوجود بعنوان (نصرة المعبود في الرد على أهل وحدة
الوجود) (٤) وينظر رده على الصوفية أصحاب هذه النحلة في عدة مواضع من
كتبه ككتابه (فتح الخافق شرح معادح رب الخلاق) وديوانه ص ٣٣٠ .

٧ - محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ له كتاب في الرد على أهل
وحدة الوجود بعنوان (الصوارم الحداد القاطعة لأغناق أهل الاتحاد) وهو
جواب على سؤال ورد عليه يقول في وصفه (أوضحت فيه حال كل من هؤلاء
الصوفية وأوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء في شأنهم وكان تحرير
المجاب في هفوان العباب وأنا الآن أوقف في حال هؤلاء) (٥) .

والعلامة المقبل وابن الأمير والشوكاني يفترون جميعاً من مذهب الإمام
محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ هـ في مسألة الصوفية وغيرها . وقد أودع
شيئاً من ذلك في موسوعته الكلامية المسماة (العوامم والقواصم في القب
من سنة أبي القاسم) .

(١) الزبارة . بحر العرف ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) حيدرة الميحي : مجلة العرب السنة ٧ ص ٧٨٤ .

(٣) الشوكاني : البحر الطالم ج ٧ ص ٣٤ .

(١) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط) والاعلام ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) مطلع البصائر (مخطوط) وأئمة اليمن لزبارة .

٨ - وآخر من تذكرهم من الذين ضلوا بالرد على الصوفية العلامة أحمد بن محمد الجرافى المتوفى سنة ١٣١٦ الذى ترك فى هذا السبيل مؤلفا بعنوان (الدليل القهار فى الرد على الصوفية الاشرار) (١) .

هل أن كتابات المتأخرين لا تخلو من تلميح إلى مسئلة الصوفية وقد كان لمدرسة الشيخ محمد بن سالم اليجانى المتوفى ١٣٩٢ هـ السلفية أثر فى إحياء علوم السنة فى اليمن وله مصاولات ومجالات حول هذا الموضوع نكتفى من ذلك بقره فى كتابه (أشعة الانوار على مرويات الاخبار) الذى يرد فيه على الصوفية أصحاب الحلول يقول فى كلامه عن ابن عربى والحلاج (أما ابن عربى فهو الذى ملا الأذان صيته وانتشر ذكره فهو وحسين الحلاج حالهما مخالف تماما لأحوال المتصوفين فى الاسلام فالشيخان حلويان ويقولان بوحدة الوجود وفى كتاب الفصوص والفتوحات المكية وغيرهما من كتب ابن عربى وما يروى عنه من الأمور المخالفة للشرعية وكذلك ما يروى عن الحلاج من الكفر الصريح كقوله (أنا الله ومافى الجبة إلا الله) فذلك مخالف تماما لتعاليم الاسلام ويستحقان عليه القتل والناس فى أمر الرجلين الحلاج وابن عربى فريقان أحدهما يقر ما كان عليه ويؤمن أنهما من أولياء الرحمن والآخر يقول كافران شقيان ومحسوبان من أولياء الشيطان ومن تمسك بالشرعية فى الحكم عليهما فهو ناج إن شاء الله ومن رضى بهما وتأول الباطل منهما فهو هالك وسالك بأشر المسالك) (٢) .

ولقائل أن يقول أين كان الصوفية أمام هذا السيل الجارف من الردود وهل فيهم من وقف أمام الفقهاء يعبر عن وجهة فريقه أم تركوا الجبل على الغارب واكتفوا من النتيجة بالاياب ؟ هنا تدرك أن صود للصوفية نجاه الفقهاء كان

(١) زبدة : أئمة اليمن فى القرن الرابع عشرى ٢٨٠ هـ .

(٢) اليجانى . - أشعة الانوار على مرويات الاخبار ج ٢ ص ٢٧٩ .

ضعيفا إلى الغاية من الضعف وأن الفلة القليلة منهم الذين تصدوا لرد على الفقهاء كانوا فى حاجة إلى انصدر القوى الذى يدفع حجج الفقهاء القوية وقد وجدناهم حين أرادوا نقد الفقهاء قد تنبطوا فى معميات من الافتراضات البعيدة التصور واعتمدوا على روايات وحكايات ضعيفة لا يسلم لهم بها خصومهم من الفقهاء حتى أن المراجعى - وهو أول من تصدى لرد على الفقهاء بعد شيخه ابن الرداد أثناء الحادثة - يبنى كتابه على قاعدة واحدة من قاعدة التسليم للصوفية فى كل أنصاهم وأقوالهم ويربط كل ذلك بحسن الظن بقول مخاطبا ابن المقرئ (يا أخى إذا كان حسن الظن بحجر جماد ينفع فإظنك بمن أحسن ظنه يؤمن بأولى من أولياء الله تعالى يكون النفع بذلك أعظم بلا شك ولا مرية وسوء الظن بالله تعالى وأهل الاسلام شركه) (١) .

ولكن يبدو أن المراجعى فى رده على الفقهاء كان فى واد وهؤلاء فى واد والافمن ابن له بتسليم الفقهاء لقومه وهم فى دور المنقذ لهم المستريب بأعدائهم مع ما عرفوا به من المماحكة والمجادلة الدديدة فى مثل هذه المضامى التى تمر بالعقيدة .

وعلى كل فأمامى فى هذا المجال بضعة كتب أولها مؤلفات الشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد والمتوفى سنة ٨٢١ فى الرد على الفقهاء وهى كالآتى :-

- ١ - (عدة المسترشدين وحصمة أولى الآليات من الزيغ والزلل والشك والارتياب) (٢) .
- ٢ - (الشهاب الثاقب فى الرد على بعض أولى المناصب) (٣) .
- ٣ - (السلطان المبين والبرهان المستبين فى ظهور الحق على من كفر أهل)

(١) الزجاجى . : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) (٣) الشاوى الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .

السمع من أولياء الله القريبين (١).

وه غير هذه الرسائل التي جالغ فيها مفسكات الصوفية التي يثمرها حرم
الغناء كرسالة في تحقيق قول بعض الصوفية (نحننا بهرا وقف الألياء على
سأله) (٢) ورسالة في معنى قول الشيخ أبي الفيث بن جميل (إن البلاد التي
كانا قديما ليس فيها مطيعة ولا حارس بحال) (٣) وغير ذلك وقد جاءت هذه
الرسائل في الوقت المناسب حيث عاصرت شدة الحركة التي دارت بين الجانبين
وكان الصوفية في حاجة إلى الصوت القوي المبرر عنهم أمام تحديات الفقهاء
الكثيرة ومن هنا جاءت رسائل ابن الرداد لتسد هذا النقص إلا أن ابن الرداد
ما كان في استطاعته أن يشر قوله الصريح في وجه الفقهاء لولا أنه حطى بمنصب
النضاه العام الذي كانت تصدر عنه الأحكام الشرعية فجاء قوله قويا ومعبرا بكل
شجاعة من جاءت .

ثم جاء بعد ابن الرداد تلميذه وزميله العلامة محمد بن القاسم المزجاجي
المتوفى ٨٢٩ هـ فكتب في السنة التي توفي فيها ابن الرداد مؤلفه المسمى (هداية
السالك إلى أسنى المسالك) وهو في الرد على الفقهاء في شخص ابن المقرئ يقول في مقدمة
(هذه رسالة من العبد الفقير . . . إلى الأخ في الله سبحانه الفقيه شرف الدين
إسماعيل بن أبي بكر المقرئ سلمه الله تعالى وحفظه ووفاه وإلى كل من يشكر هل
الطائفة الصوفية نفع الله بهم الخ . . .) وهذا الكتاب من أهم ما وضع في الدفاع عن
الصوفية وستدرك أهميته إذا علمنا أنه كان إثر الحركة بين الفريقين خلال النصف

(١) للمزجاجي : نهاية السالك (مخطوط) .

(٢) الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ ونسب الجليل هذه القول إلى الشيخ ابن جبيل (انظر
الإنسان الكامل ج ١ ص ٧٤) .

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦٣ .

الأول من القرن التاسع ، وقد كان المؤلف في رده على ابن المقرئ قد استعمل كل
جارات الأدب والتقرير بخلاف خصومه من الفقهاء الذين يطلب عليهم طابع
النضب والتشج وقد دخل المزجاجي على خصمه ابن المقرئ بدخل الصديق
الناصح والمرشد الذي يهجمه شأن زميله ومن هنا جاءت عبارات المزجاجي به
سلطة نعم منها واثمة الإخلاص والبراءة على الرغم من ضعف الحجة التي يدل
بها وعدم استنادها على دليل قوي يهزمه في وجه خصمه .

وبالجملة فإن كتاب المزجاجي هو الأثر الباقي المتأخر للصوفية من بين
الأثار الكثيرة التي خلفتها لنا الأئمة الثلاثة بين الفريقين والتي كتب أغلبها فريق
الفقهاء وهو كتاب له قيمة القصوى بالنسبة لهذه الحادثة ليس من حيث قيمته
الفكرية بل ومن الناحية التاريخية حيث ذكر معلومات تاريخية كثيرة عن
الصوفية لانحداها في غير هذا الكتاب .

وبالرد من قبل المزجاجي على الفقهاء يلتزم الصوفية السكوت فلا أحد يظهر
منهم بعد هذا التاريخ حتى تمر مرحلة طويلة نعدا بالقرون فيظهر منهم جماعة
من المناهضين الذين أخذوا على أنفسهم قضية الصوفية والدفاع عنهم كالصوفي
محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦ هـ صنف كتابا بعنوان (الآيات الباهرة
في اختطاف الألفهم القاصرة) تلمس فيه الحماس المفرط للصوفية إلى درجة
تخرجه عن الحد . ومنهم في العصر الحديث الشيخ إسماعيل بن مهدي الغرياني
مؤلف كتاب (نفس الرحمن فيما لاحباب الله من طو القان) الذي خصص في
الرد على من يشكر على الصوفية وهو مقسم على فصول وأبواب إلا أنه لا يفتد
في أكثر الأحيان على المنطق العقل الذي يأخذ به خصومه من الفقهاء ومن
فصوله الرئيسية فصل في الرد على من كفر المسلمين وفصل في مفرجة تنظيم
الأولياء والأنبياء وفصل في مشروعية التبرك بالصالحين (١) .

(١) انظر هذا الكتاب وهو مطبوع في عدن سنة ١٣٨٠ هـ في ٢١٧ صفحة .

أحداث النزاع التاريخيه

في تاريخ النزاع التاريخيه
في تاريخ النزاع التاريخيه
في تاريخ النزاع التاريخيه
في تاريخ النزاع التاريخيه
في تاريخ النزاع التاريخيه

المرحلة الأولى

وأما في فصل لاحق كيف تكونت مدرسة ابن عربي في التصوف اليمن خلال القرن السابع بعد هجرة المقدسي إلى اليمن وتجمع تلاميذه حوله أمثال ابن (البابة) (١) الذي كان له نفوذ قوي عند الملك الأشرف قبل توليه الملك بعده. وكان المقدسي أكثر ما يجتمع بتلاميذه في المدرسة العليا المعروفة بمدرسة أم السلطان بمغربة تمر (٢) (وكانوا يتذاكرون في علم التصوف بها لا تفتحه المظفر ولا تقبله) (٣) وهو شيء غريب على أهل اليمن فلم يقبلوه منه (ونسبوه إلى الوافدة) (٤).

وبناءً على الإقرار أن يقصد هذا الزمن أول نزاع حاد بين الفقهاء والصوفية عندما كان الفقيه أحمد بن عبد الدائم الصفي المتوفى سنة ٧٠٧ هـ أحد قضاة عصره المتمكنين من علمهم تلميذا لابن البابة السابق الذكر وقد حضر مع شيخه هذا ما يدور بينهم من نقاش فلسفي استكره عليهم وهدد من مأخذهم مسائل أخفها (أنهم يشككون في صدق القرآن ويقولون أنه ليس من كلام الله) (٥).

(١) ورد اسمه في المخطب البنية في عدة صور مختلفة ففي العقود الأولية يرد ذكره أحيانا هكذا (ابن التائه أو ابن التابة أو البابة) ١ ص ٢٠٦ و ٢٨٩ وغيره (٢) ول كنف النطاء بابن البابة ص ٢١٧ وفي مخطوطه هدية السالك بابن البابة ولد ضبطا اسمه من مخطوط طراز أعلام الزمن بقلم مؤلفها المزرجي :
٢ - ٣ - ٤ - ٥ - الجندي : السوك (مخطوط) .

فإن كان من صاحبنا إلا أن اجتمع بزملائه من الفقهاء وأسر لهم هذا الأمر
النظر الذي أقامهم وأقدمهم . فاتفق رأيهم على الاجتماع في منزل القبيح ابن
يكرين آدم الجبرتي وكان رئيس الفقهاء في عصره .

• في منزل الجبرتي •

شهد هذا المنزل أول اتفاق منسق بين الفقهاء في شأن الطائفة الصوفية
الخارجين عن شريعة . يقول الجندى في ذكر هذا الاتفاق (اجتماع الفقهاء
إلى الجبرتي وأخبروه بما شهد ابن الصفي فصحب عليه ذلك وقال له الفقهاء رأينا
نعم رأيناك فأشر بما شئت فنحن نمثلون وقم لله وإلا انتفرت هذه البدة بومرق
الناس من الدين) وهنا انتهى رأيهم في هذه الجلسة على خطة معينة يوقعون بها
المقدس وتلميذه ابن البابة (١) .

• خطة الفقهاء للقضاء على المقدسي وتلاميذه •

هكذا من الفقهاء التدخل دائما في مثل تلك القضية التي تمس الغريزة فلا
غربة إذا أسفر اجتماعهم عن مؤامرة مبيتة تهدف إلى القضاء على المقدسي وابن
البانة وإعدامهما بالكلية . ففي الاجتماع السابق شرح الفقيه الجبرتي وخطة الرامية إلى
ذلك بأن يذهبوا جميعا إلى المفرقة بقصد حضور صلاة الجمعة في مسجد الكبير
على أن يرمسوا خطرات المقدسي وزميله فإذا جاء الصلاة — يقول الجبرتي —
(أوفنا بهما وقتلناهما وأرحنا المسلمين منهما والإسلام) وينفض الاجتماع
بموافقة الفقهاء جميعا على خطة الجبرتي بعد أن (أجابوه على الطاعة وتعاقدوا
على ذلك) (٢) .

• فشل المؤامرة •

ولكن المؤامرة لم تنجح إذ سرعان ما نفا هذا الخبر إلى المقدسي وتلميذه
(٢٠١) الجندى : السوء (مخطوط)

الذين أخذوا يعملان الفكرة لصدد كبد الفقهاء نحومهم وانفقا على أن يستعينوا في
هذا الأمر بوالى المدينة الأمير الوائق بأمر ابن الملك المظفر الرسول الذي زود
المقدس بجماعة من العسكر يحفظونه أثناء دخوله الجامع للصلاة .

وحين جاء وقت الصلاة حضر الجبرتي من (ذي مدينة) وكان يعمل مدرسا
بها واجتمع بزملائه من الفقهاء الذين احتشدوا في جامع المفرقة على أمل وجود
المقدس وتلميذه ليوقعوا بهما كما تم الاتفاق بينهم سابقا فإذا بالمقدس يدخل
المسجد ومعه جماعة من الرجال يحرسونه بالسلاح فلم يتمكن الفقهاء من المساس
به وفشل الخطة . أما ابن (البانة) بما انتقل عليه من لبانه وحسن تصرف —
وقد كان هو الذي أشار للمقدس بالالتجاء إلى الوائق — فقد نسل خفية من
مدينة ثم بعد أن اكترى هجينا وتوجه من فورده إلى مدينة زيد للاجتماع
بالملاك المظفر وإطلاعه على ما دبره الفقهاء .

وعند وصوله إلى مدينة زيد ارتضى على باب منزل الأمير الأشرف له
بصافته له وإدلاله عليه واستضاف به في صورة مؤثرة حتى (استدعاه واستخبره
عن أمره) (٣) فأخبره بالقضية من أولها إلى آخرها وسجد ابن البانة قد استغل
مداقته مع هذا الأمير لغرض التوسط له عند والده الملك المظفر بشأن هذه
القضية وقد وقف معه هذا الأمير وطلب منه تحرير مكتوب يفرج فيه ما جرى
له ليقدمه عند والده .

• تدخل الدولة في هذه القضية •

يقول المؤرخون أنه لما أتم ابن البانة كتابة التقرير الذي يلجرح فيه حادثة
الفقهاء معه هو وزميله المقدسي دخل بها الوائق إلى عند والده الملك المظفر الذي

(١) الجندى : المصدر السابق مخطوط .

ماله ما وصل إليه الأمر بين الفريقين في مدينة تمر (وصحب عليه الأمر ونحى
أن تلبى المسألة بين الفقهاء والصوفية إلى شقاق كبير) (١) فكتب الملك المظفر
إلى الفقهاء رسالة شديدة الحجة يحذرهم فيها من القيام بمثل هذه الأعمال المقلقة
لأمن الدولة ويحث بالرسالة إلى والى مدينة تمر بعد أن أمره أن يقرأها على المنبر
لبسما جمهور الفقهاء وغيرهم .

أما نص هذه الرسالة التي كتبها الملك المظفر إلى الفقهاء فقد أوردته جماعة
من المؤرخين منهم المزجاني الذي أطلع على أصل المکتوب في ورقة قديمة
جده فيها :

(اظلم الضياء وخبثت في مشواء فاقنصروا عن هذه الامواء واشتغلوا
بالنصوص فانك يا ابن آدم (٢) اهنى المنفعة وامثالك ممن هو في تلك الجهة لم
يخط طلبا بما في كتابه ولو بهت أحدكم وسئل عن مسئلة فيها قولين لم يكن في
قدره الجواب عنها حتى يكشف ويطلع وإذا كان يعيبكم ما أفئتم فيه أعماركم
فكيف تخرجون إلى أموية تقيمون لها أمثالا بظاهر الفاظكم مما يستدل بها على
على أمويتم فاعندوا على الكتاب والسنة والصحيح من حديث رسول الله (ص)
واتركوا التمسك بالموضوعات على النبي (ص) فلهذا علماء يورودون ويصدرون
ولستم من ذلك النمط في شيء فالحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فإن اقتصرتم
والا قصركم السيف من طول السان فإنما قصدكم التلبس على العوام بجبل
وقال (٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) يعني به الشيخ أبو بكر ابن آدم الجبري :

(٣) للمزجاني : هداية السالك (مخطوط) وانظر هذه الرسالة في الجندی : السلوك
(مخطوط) والاميل كشف الظن من ٢٢٩ .

• تعقيب على رسالة السلطان في شأن الفقهاء .

لم يكن للدولة الرسولية في ذلك الوقت سياسة دينية معينة فهذه الدولة لم
تكن تحكم حكما دينيا (ثيوقراطي) كما هو الحال في دولة الإمام وقد وقفت في
هذا النزاع موقف المحايد البعيد عن أي انتماء معين وهو الموقف الاصلح لها
كدولة ترمي حقوق الأمة من اختلاف أنواعهم وخاصة وأنها أمام فئة حبيطة
من الصوفية حاول التجنى عليها جمهور كبير من الفقهاء بما عرفوا به من العدة .

وقد كان السلطان في رسالته السابقة مضطرا إلى أن يناقش الفقهاء بأسلوبهم
التيح هندهم فحاول أولا الطعن في معارفهم وما وصلوا إليه إذ الواحد منهم
(لو بهت في مسألة فيها قولين لم يكن في قدرته الجواب عنها حتى يكشف
ويطلع) وبمضى طيلة ليلته ينتقب ويفتش .

ثم عرض لعملم الاموج في التجنى على الصوفية واعتبره من آمار حقولهم
الضعيفة التي تصور مسألة خيالية فتجسدها إلى عالم الواقع . إذ سرعان
ما اخترعت في أذهانهم مسألة تكفيرهم فحاولوا الإقدام على خطوة كبيرة من
القتل وهو الأمر الذي يعتبر تحديا للسلطات العليا وتدخلها فيما هو من اختصاصها
وقد أشار إلى ذلك بقوله مستكرا عليهم اقدامهم الخطير (كيف تخرجون إلى
أموية تقيمون لها أمثالا بظاهر الفاظكم مما يستدل بها على أمويتمكم) .

وأخيرا لم يبق أمام السلطان المظفر كسلطة عليا إلا أن يهددهم بما هو أشد
من التحذير وهو القتل إذا لم يكفوا عن مثل هذه الأعمال المقلقة لأمن الدولة
ولعل في ذلك ما يردع من رسول له نفسه بالقيام بعمل مقابله لفظتهم تلك يقول
(الحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فإن اقتصرتم والا قصركم السيف) وهذا
غاية ما يأتي من الملك المظفر .

وقد بطل فريق الصوفية أن في هذه الرسالة مناصرة لهم على الفقهاء ويستدلون

بها على تأييد الدولة الرسولية لهم كما رأينا ذلك صراحة في قول المزجاجي عند
مرث الرسالة مخاطبا ابن المقرئ (١).

وليس الامر كما اعتقد المزجاجي إذ المسألة هنا قضية جماعة خرجت عن نطاق
القانون وكان الأول ردعهم وتخفيفهم بنقض النظر عن انتائهم وميولهم . وهذه
من الوجهة الوحيدة أمام الدولة لضمان حرية القول لشق فئات المجتمع .

• حالة الفقهاء بعد التهديد •

بعد سماع الفقهاء انذار الملك المظفر سكتوا عن الصوفية ولم يعد نسمع منهم
إنكارا خفية من قيام الدولة بحمة تأديب ضدهم وخاصة وأن الإنذار كان شديد
الجهة وقد وصف الجندي حالة الفقهاء بعد سماعهم التهديد أنهم (تفرقوا وذهب
أمرهم شغرا) (٢) أما العلامة ابن الأمد الذي نسمع صوته بعد مضي
ما يقرب من قرنين على الحادثة يستذكر على الفقهاء سكوتهم ويقول (كان ينبغي
عليهم أن يجيبوا السلطان المظفر وينصحوه بكتاب لطيف ويظهروا له الحق ليرجع
عن إنكاره عليهم) (٣) ولكن الفقهاء خشوا من عقبي هذه المراجعة والسلطان
لا يزال في ثورته عليهم وكان على الأمد أن يقدر ظرفهم ذلك المخرج وبسكوت
الفقهاء انتهت أول جولة من الصراع بين الفريقين .

• موقف الدولة الرسولية من النزاع •

على أن قصر مدة هذا النزاع وانحاده وهو في مرحلته الأولى لم يعطنا صورة
واضحة عن وجهة الدولة الرسولية أمام تلك المنازعات بين الفقهاء والصوفية فقد
سكتت الدولة ولم تظهر أي انحياز إلى أحد من الطرفين المتنازعين إلا من خلال

(١) للمزجاجي : للمصير السابق (مخطوط)

(٢) الجندي : السلوك

(٣) الأمد : كشف الظلمات

التهديد للمرسل إلى الفقهاء وهو غير كاف لبيان موقفها حيث لم نجد فيه سوى
تفريعات شكلية لحفظ الهدوء ولا يجب أن يفهم بأنه انحياز إلى جانب الصوفية
كما افترنا إلى ذلك فيما سبق .

ولم نجد الدولة تتدخل في مثل هذه القضايا إلا في المرحلة الثانية من النزاع
الذي وقع بين الفريقين في منتصف القرن الثامن وما بعده وذلك لاستمرار هذا
النزاع مدة طويلة واضطرار الدولة إلى الانحياز أحيانا أو إلى المحايدة أحيانا
كثيرة وهذا ما سنبينه في فصل آخر .

• المرحلة الثانية من النزاع بين الفقهاء والصوفية •

كان النزاع بين الفقهاء والصوفية في القرن السابع أول حادثة من نوعها بين
الفريقين وقد تركت آثارها في النفوس ووجدت لها متفصلاً في أكثر من واقعة
بصورها لنا التاريخ اليمني . ومع أن المسألة كادت أن تنتهي بين الفريقين عند
قيام السلطان المظفر بتهديد الفقهاء وردعهم إلا أنه ما كاد ينقضي هذا العصر
حتى يعود الخصام بأشد مما كان وقد ذكر لنا أهل التاريخ أشياء من ذلك
كثيرة (١) سيجدها الباحث في النخل الجيد لمحتويات المخطوطات اليمنية . حل أن
حقيقة النزاع من حيث هو مجابهة كبرى بين الفريقين يندى في القرن السابع
عند قيام الصوفية بنشاط ملموس في الدعوة إلى التصوف والتوسع في فلسفاتهم
الطرية والعملية ولم يعد من أمرهم التسكيت في تعاليمهم والتسكت كما هو الحال عند
جيلهم الأول من المتصوفة .

(١) من ذلك ما ذكره المزرجي في ترجمة حسين بن أبي بكر السوي الحنفي ٧٠٤
يقول (سكان قتيها صالحا وكان ينكر على الفراء (الصوفية) الرقص والسماع فلذلك اتجم
لفقهاء عليه ولم يزل حذرا من السلطان بعد أن وشى به أنه يحصل بأمام الزيدية) القود
القولبة ج ١ ص ٣٦٦ .

وقد كان الصوفية في هذه الفترة يتزعمهم الصوفى الكبير الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وقد انضم إليه اتباع من الصوفية انتشر شأنهم وتكاثروا حتى أصبحوا يتكفون قوة صغيرة لهم نفوذ وسلطة بجانب نفوذ الدولة ولم يقتصر أمرهم في ممارسة نفوذهم المدني على القضايا الدينية والشعائر الصوفية بل تعدى ذلك إلى القيام بإصدار أحكام في حق المخالفين من المذاهب والمعادين لهم مما يفسر لنا مدى سلطتهم القوية عند الدولة الرسولية ، يقول المؤرخ في حوادث سنة ٧٩٧ هـ :

(وفيها أمر الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي بضرب الشيخ صالح الدكي بضرب بالسياط ضرباً مبرحاً ثم إن الشيخ إسماعيل استأذن السلطان في إخراجه من اليمن فأجابه إلى ذلك وصرف أمره إلى أمير البلد فأرسل به إلى البحر وأمر نوابه أن يسافروا به إلى بر الصنع) (١) .

ولا غرابة إذن بعد كل هذا أن يرداد نفوذ الصوفية وأن يتوسعوا في تعاليمهم دون خشيته من رقيب أو منكر عليهم .

(١) العقود الأولى ج ٢ ص ٢٧٢ ولله نفس المعار إليه عند الشوكاني باسم صالح للمصرى فقد ذكر أن هذا الشيخ كان ينكر على إسماعيل الجبرتي فتمصب عليه الصوفية حتى نفوه له الهند فقال أحد الشعراء ينكر على الجبرتي وجاحته في قيامهم بنفي المصرى :

صالح للمصرى قالوا صالح ولمصرى أنه لمنتخب
كان ظني أنه من فية كلهم أن تمنعهم فخطب
رمبط إسماعيل قطاع الطر يق إلى أنه وارياب الرب
سئل عنى راع فاعة اكذب فيهم على الدنيا كلب
البحر الطالع ج ١ ص ١٢٩ .

مراحل النزاع الأخير

وكان لذلك النفوذ أثر في أصكات الأصوات المنكرة ولم نسمع لفقهاء رأياً معارضاً إلا بعد القضاء مدة طويلة رأيت أولاً على شكل معارضة بسيطة يثيرونها من خلال مسائل فقهية صغيرة إلى أن تطور النزاع إلى نواحي أخرى وأصبح كل فريق يكفر الآخر بل لم يكتفوا بهذا فقد أخذوا يتعاطون التعصير طناً حتى دخلت القضية طوراً سياسياً أوسع على أثر مشاركة الدولة الرسولية في هذه الناحية وانحيازها مع بعض الفرقاء حيناً من الزمن .

وقد مر النزاع بين الفقهاء والصوفية بثلاث مراحل رئيسية تمثل كل ما جرى بينهما حتى خمد القضية وانتهت بها . وقد رأينا تقسيمها على الوجه الآتي :

— المرحلة الأولى من سنة ٧٩٦ هـ إلى سنة ٨١٧ هـ

وهي المرحلة التي شهدت قيام الفقهاء بحملات ضد الصوفية واستنق الملك الناصر أحمد بن الأشرف لإسماعيل في شأن كتب ابن عربى ومطالعته ثم عرض العلماء في الإجابة على فتوى الناصر ومنهم العلامة محمد الدين القبرورجى الذى تولى القضاء المصام فى اليمن من سنة ١٩٦ إلى سنة وفاة وانحيازهم إلى جانب الصوفية .

— المرحلة الثانية من سنة ١٨٧ هـ إلى سنة ٨٢١ هـ

وتتمثل انتصار الصوفية على الفقهاء وتشكيل أرائك بهم على أثر تولي أحد الصوفية زمام القضاء العام وهو الصوفى الكبير أحمد بن أبى بكر الرداد .

— المرحلة الثالثة من سنة ٨٢١ هـ إلى سنة ٨٢٧ هـ

وهي فترة استعادة الفقهاء سيطرتهم وملاحقتهم لحصومهم ، ثم خمد جذوة النزاع بين الفريقين بعد وفاة ابن المقرئ سنة ٨٢٧ ولم يعد الفقهاء يبنون بالرد على الصوفية لاسباب تعود إلى ميل السلطة إلى الصوفية كما أشرنا في فصل لاحق .

وقد كان النزاع في مجله نوعاً من الترف العلمي الذي وصلت إليه البلاد في
 العصر الرسول إذ لم يعد الفقهاء يحضرون انفسهم في دراسة المسائل الفقهية المعقدة
 بعيداً عن الأحداث العلمية المعاصرة لهم وهذا ما يفسر لنا تحول بعضهم من البحث
 في مواضيع فقهية عادية إلى مجالات أوسع من الدراسات العلمية .
 ولأننا نرى أن حصرنا لإجماعات النزاع في هذه المراحل الثلاث فاعلينا
 الإفادة للوضع من شتى اتجاهاته .

الحياة العلمية في ذلك الوقت

المعاني قول سائر إلى أن النزاع بين الفريقين كان نتيجة طبيعية لتلك
 النهضة العلمية التي شهدتها اليمن خلال الحكم الرسول ولم يكن النزاع محصوراً
 بين الفقهاء والعلماء وحدهما وكان كثيراً ما يحدث بين أصحاب الفن الواحد وغالباً
 ما يثار نقاش حول المسائل الفقهية فيعقبك الفقهاء فيما بينهم في نقاش حاد وربما
 خرجوا من نطاق البحث إلى التحدي السافر لبعضهم البعض وقد ذكر (البرهسي)
 أن العلماء في عصره قد اختلفوا في عدد تجديد بناء الكعبة فثارى العلماء في هذا
 حتى أرسلها العلامة محمد بن أبي بكر الحياطي المتوفى سنة ٨٣٩ إلى ١١ بناء في
 مؤلف له بعنوان (التحقيق في عدد بناء البيت العتيق) (١) وهذا نموذج بسيط
 وإلا فالتواجد على ذلك كثيرة وقد اذكرى النقاش من زاوية أخرى سلاطين بني
 رسول وقتما يجتمع لهم بالعلماء من نقاش يثيره أولئك السلاطين بما
 جعلوا عليه من حب المعرفة وقد أشار الخورجى إلى بعض مما يدور في تلك
 المجالس من ذلك ما ذكره في حوادث سنة ٧١٦ يقول :

(في يوم الأحد ٢٨ من شهر شعبان نبياً السلطان الأشرف العياص واخل
 به دار قصر لحضور الفقهاء والقضاة والوزراء ومن يمتاد حضور مجله

(١) تاريخ البرهسي : مخطوط

تصنيع في شهر رمضان وكان الحاضرون مجله في شهر رمضان يشاركون في
 بين الرطب والجنب أيهما أفضل من صاحبه فحصل الاجماع بتفضيل الرطب
 في جنب وكان المقاتل بتفضيل الرطب على جنب فقهاء نهاية وأمرؤما وكان
 في جنب بتفضيل جنب على الرطب فقهاء الجبال وأمرؤما وقد استدل أهل الجبال
 أنهم إلى الفقه صفي الدين أحمد بن موسى العمري وكان فقها عارفاً مدققاً
 استدل أهل نهاية أمرهم إلى الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر القرى وكان
 يتردد ذكاه وكان حاضراً هذه الواقعة حاكم القصر الشريف للقاضي صفي الدين
 محمد بن محمد التاهري (٢) .

إذن فالمصر كان فترة مناهضة علمية وأدبية فلا غرابة أن يازج ذلك
 نزاع بين الفقهاء والصوفية كصورة متممة لواقع الجدل المباشر خلال تلك
 المرحلة الزاهرة من تاريخنا الثقافي في اليمن .

وقد أشار إلى ذلك النزاع كثير من المؤرخين إلا أنهم نادراً ما يلتزمون
 لتسلسل التاريخي لتطور الحادثة وهم غالباً ما يذهبون إليه عند ذكرهم
 لعلام النزاع الذين خاضوا غماره . مكتفين في ذلك بالسرد الجرد الذي لا ينده
 تحدد زمن معين لذا فإن حياة أولئك الاعلام وتحديد سنواتهم التي عاشوها
 في الحيط الوحيد الذي يمكن بواسطته تتبع تطور النزاع من حيث هو
 أحداث مجردة أما مراجع أولئك فمالحقها باخر الحديث في فصل مستقل كافلت
 الفصل السابق (٣) .

(١) الخورجى : العقود الأولى ج ٢ ص ٢٦٣
 (٢) نقلاً وضمناً تراجع مفصلة لعلام النزاع في المرحلتين الأولى والثانية من تاريخهم
 سلكا للرواديين إلى اليمن من الذين ساعدوا في النزاع إلا أن تاريخاً حقيقياً من هذه المسألة
 انضمام الكتاب على الذي قد ترجمه لاكثر اعلام النزاع من المذكورين في هذا الكتاب
 المؤرخي تاريخ التراث اليمني في العصور الإسلامية . تحت الطبع

يجب الاقتراف به وقد كان سلفهم يميل إلى الصوفية أكثر من ميله إلى علماء الكلام بل نجد ظاهرة حسن الظن بالصوفية تطفئ حتى هـ أولئك النفر من المنكرين الذين ناصبوا إتياع ابن عربى المدهاء أمثال محمد بن على الموزعى المتوفى ٨٢٥ هـ وكان يميل إلى الصوفية وهو الذى اختصر كتاب (روض الرياضين) اليافعى ومنهم إسماعيل بن أبى بكر بن المقرئ على الرغم مما شهر عنه من عداوته لإتياع ابن عربى فقد كان يردد الثناء على الصوفية المستقيمين منهم ويفرق بينهم فنفسم مثل قوله :

وخذ نهج سهل والجنيذ وصالح وقوم مضوا مثل النجوم الزواهر
على الصرح كانوا ليس فيهم لوحده ولا لخلول الحق ذكر لذاكر
رجال راوا ما دار دار إقامة لقصوم ولكن بلفتة للمسافر
فاجبوا لياليهم صلاة ويبتوا بها خوف رب العرش صوم اليواكر
أولئك أمل الله فالزم طريقهم وعد عن دواعى الابتداع الكوافر (١)

وحسب ابن الأمدى صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذى رد به على الصوفية الفلاسفة فقد كان يبنى على الصوفية فى تاريخه العام ويذكر الكثير من كراماتهم وأحوالهم .

ومذا دليل - أفرا على أن أولئك الفقهاء بما فيهم أولئك الذين تعرضوا للصوفية بالنقد - ما كان لهم النية والمعارضة لولا أنهم وقفوا أمام الأمر الواقع الذى لا يجب السكوت عنه بعد أن خرج الصوفية عن كثير من القوانين الشرعية التى يلج الفقهاء على إيجابها .

وبجانب هذا الأمر الرئيسى فقد دخلت الدولة بكل تقاطعها فى معجمة النزاع لتكون بعد ذلك داملا من العوامل الموجبة على أنه لم يكن دخولها فى القضية

(١) ابن القرئ : مجموع ابن القرئ ص ١٣ .

من باب حفظ الأمن والتوسط بين الفريقين . وإنما جانت لتجاوز إلى جانب الصوفية الذين رأوا وجودهم مرتكزاً شعبياً يعتمد عليه وقد مر بنا فى فصل سابق كيف أن الميل إلى الصوفية قد توارثه ملوك بنى رسول أباه من جد .

فاليل الذى يمكنه الملك الأشرف إسماعيل بن عباس الرسول للصوفية مما لا يمكن إخفاؤه بأى حال من الأحوال وقد صرح بذلك أحد من حاصر النزاع وهو الصوفى محمد بن محمد المزجاجى الذى يقول (أن الملك الأشرف كان معتقدا للشيخ إسماعيل الجبرقى وأصحابه الصوفية وبجبه غاية المحبة) (١) ويؤيده فى هذا القول معاصرة ابن الأمدى الذى يرى فى ميل الملك الأشرف وولده التناصر إلى الصوفية محاباة تبعدهما عن عدل الملك يقول (وكان السلطان الأشرف عم وفه التناصر بمجايان الصوفية) (٢) ويربط هذه المحاباة بالتمسك بالفقهاء فبرى إنها سببا رئيسيا فى عدم جدوى إسماعيلهم فى مرحلته الأولى (فلم يكسبوا يؤثر الإنكار) .

وكان الملك الأشرف قد حاصر النزاع وهو فى مرحلته الأولى فكان ميله إلى الصوفية سببا فى أحداث الفرفة بين الفقهاء أنفسهم وانقسامهم بين مؤيد للصوفية ومنكر عليهم ولا شك أن الفقهاء ما كان أغلبهم يميل إلى الصوفية لولا أنهم وجدوا السلطة تنحاز إليهم فاتبعهم بحكم التقرب إلى السلطان والجمالة . وقد أنصح عن هذا الموقف ابن المقرئ فى حديثه عن ميل الفيروز آبادى إلى الصوفية بقوله (أنه لما جاء إلى اليمن والتمسكه بالصوفية ساعدتهم ووافقهم على ما يريدون) (٣) وكان إنحياز الفيروز آبادى إلى الصوفية طعنة قوية فى ظهور الفقهاء الذين كانوا يرون أنه فى صفهم لتمسكه من علم الفقه وسائر العلوم الدينية

(١) المزجاجى : حداة السالك (مخطوط) .

(٢) الأمدى : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٣) المزجاجى : المصدر السابق .

والآدبية وما كان أحد منهم يظن أنه سيوافق الصوفية على أفكارهم ويشي على ابن عربي في رده على الفقيه ابن الحياط . وهذا ضعف في شخصية الفيروز اباذى له ابن حجر وحاول تشخيصه بقوله (ولم أكن انهم الشيخ بمقتله ابن عربي إلا أنه كان يجب للدائرة) (١) .

وسنظهر من شاكلة الفيروز اباذى كثير من الفقهاء يخذلون أصحابهم وهم في شدة النزاع حتى ان الصوفية يحملون من الاختلاف بين الفقهاء حجة لصالحهم يهرونها في وجوه اعدائهم ويهدمهم يملون من مكانة المؤيدين لهم من الفقهاء بل تهد المزاجي يحمل من سكوت بعض الفقهاء عن التعرض للصوفية دليلا على موافقتهم لهم كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمي (المتوفى سنة ٧٩٢ هـ) الذي لم يؤثر منه إنكار على الصوفية وكذلك لم يؤثر عن غيره من كبار الفقهاء عصره أمثال إبراهيم العلوي وابنه سليمان وعبد الطيف الشرجي ومحمد بن سعيد بن كين وأحمد الدوالي وأبي بكر الرداد وعلى الناشري ومولاهم الذين ذكروهم المزاجي عنجا بسكونهم وبناء على ذلك موافقتهم للصوفية إلا أن هذا ليس دليلا شافيا إذ كان بإمكان الفقهاء أن يحملوا من هذا السكوت حجة في صالحهم كأهل خصومهم .

والقول الفصل في هذا الباب هو أن سكوت الفقهاء كان تقيها ومسيرة لسياسة الدولة إذ كان البعض منهم يشرف على مصالح كبيرة كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمي الذي كان يتولى قضاء اليمن العام .

ومع ذلك نجد الدولة لا تتكبد جانب الفقهاء نهائيا وتحاول أن تسلفهم في كثير من القضايا المتعلقة بالصوفية على اعتبار أنهم الممثلون للشرعية وقد كان هذا في حقيقته عمل شكلي حتى لا يقال ان الدولة قد ركبت هواها في مسألة

(١) ابن حجر العسقلاني : إنباء الفرج ٣ ص ٤٩

الصوفية فقد حدث (أن الملك الاشراف لما علم من بعض الفقهاء إنكارهم لسمع الصوفية كتب إلى قاضي القضاء شمس الدين بن صقر سؤالا يسأله من حكم السماع فكان جواب القاضي أن وضع مصنفا حسنا في إباحة السماع وجوازها (١) وهذا القاضي كان من نفس النمط السابق الذي يتماشى مع سياسة الدولة حسب ظروفها وهو أحد كبار الموظفين الرسميين فقد تولى القضاء العام في اليمن وسنجد له ترجمة عند يامخرمة الذي يقول (هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صقر النساني عاش بالكشام ثم حج وجاور بمكة فاخذ بها من جمع من العلماء وعندهما حج المجاهد حجة الأولى سنة ٧٤٢ ورجع إلى اليمن دخل ابن صقر المذكور اليمن بصحبته فافضل عليه المجاهد ثم ولاه القضاء الأكبر في جميع قطر اليمن فلم يزل مستمرا على ذلك إلى أن توفى المجاهد فلما تولى ابنه الأفضل زاد في رزقه ولم يزل مستمرا على القضاء حتى عصر الاشراف ثم توفى في آخر شوال سنة ١٨٥ هـ) (٢) .

ومكذا فإن الدولة بعد أن قربت إليها كثير من الفقهاء وجعلتهم في المراكز القضائية الهامة كان على أولئك الفقهاء متابعة رومائها في سياساتهم العامة والخاصة حتى كانت هذه المتابعة سمة خاصة بالفقهاء في ذلك الوقت وقت وقد رأينا أحد الذين استكروا عليهم هذا المسلك يصفهم (بالحاياء والمداهنة في دين الله .. وهذا غالب على فقهاء الوقت) (٣) بل نسمع أشد من هذا القول في نقد موقف بعض الفقهاء تجاه النزاع بين الفقهاء والصوفية كما سيتضح لنا فيما بعد وقد كانت أكثر منظومات ابن المقرئ في الغيب على سلوك جماعة الذين التزموا الصمت وتركوه وحده في الميدان بمقارص الصوفية ومن ورائهم السلطة .

(١) للزجاجي الصدر السابق (مخطوط)

(٢) يامخرمة : تاريخ قمر عدن ص ١٩٩

(٣) الأمليل : كشف الظلم ص ٢١٧

وبالجملة فاد التناقض في موقف الفقهاء مما لا شك فيه وكان هذا أحد العوامل التي ساعدت على انتصار الصوفية على خصومهم في مرحلة النزاع الأول والثانية ونجد عند أبي القري تصوير لذلك الموقف في مقطع شعري (يقول فيه على لسان فومه من الفقهاء) :-

فقام لهم من رجالهم فيه على الحق استقامه
فاما الصالحون فما نكروا ولا قالوا نخاف من الملامه
واثروا بالذي طمروا وخافوا وهذا نال من رضى اكتامه
واما همهم فرضى امورا واثروا على بصوم القيامه
وقال الشيخ أحمد لى حديق وكل من يفرط بالسلامه
نظك الله عند سواك أولى وأجدر من حديقك بالكرامة (١)

والشيخ أحمد المشار إليه هنا هو أحد الرداء وكان يتولى القضاء أثناء نظم ابن القري شعره وهكذا يعضى الفقهاء المنكرون في نصيهم على زملائهم عنم للناسره لهم .

ولم يبق من الفقهاء المعارضين للصوفية سوى قلة تكاد تعد بالأصابع وقد نراسهم في المرحلة الأولى الشيخ أحمد بن أبي بكر الناشري وهو نموذج للرجل الصلب الثراس الذى تكون صلابته سببا في إذيته واسباغ اللوم عليه من قبل الناس ويذكر من ترجم له أنه تولى قضاء زبيد فكان يخلع منه من حين لآخر قس سنة ٧٨٦ ول القضاء فخلع في سنة ٧٩٠ ثم أعيد في نفس السنة ثم انفصل في سنة ٧٩١ ثم أعيد سنة ٧٩٣ ثم خلع وهكذا حتى أن السخاوى وهو يكرر هذه التولييات والعزل يستشهد بالقول المأثور (ما ترك لى الحق من حديق) (٢)

(١) ابن القري : مجموع ابن القري ص ٢٣

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٧

ولعل سر هذا يعود إلى حده في مزاج الرجل وعدم ملاينه للناس وهذه من السمة العامة لكل أعلام النزاع من الفقهاء وقد أدرك خصومهم هذه البه فحاولوا تهريبهم والعيب عليهم من خلالها وأنت تلاحظ ذلك في قول المرجاجى مخاطبا ابن القري يقول (يا أخى حفظك الله الغضب والعصا والمنافسة في بعض الأمور تفعل بالمقابل مثل هذا أو ترمى بصاحبها إلى هذا الحد) (٣) وكأنه بهذا القول يعرض بحجة امروجة خصومة من الفقهاء .

ونخرج من هذا كله إلى أن النزاع بين الفقهاء والصوفية قد ساعد في إيجابه هذه عوامل محلية ونفسية حتى إذا حان الحين رأينا هذه العوامل تبدو جلية واضحة في صورة ذلك التصادم الذى نحن بصددده وقد كان للصوفية صولة كبرى عند السلاطين الرسولييين وليس من السهل التغلب عليهم إلا عن طريق التأثير على حلفائهم الأقرباء آل رسول وهذا مما يصعب حيث كان ملوكهم يعتقدون الصوفية وقد مر بنا كيف أن الملك الأشرف كان يحسن الظن بالشيخ إسماعيل الجبرنى وجماعته ومن بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل الرسول الذى امتد حكمه من سنة ٨٠٣ إلى سنة ٨٢٧ وعاصر القضية وهى فى حنفوانها فلم يدخل فى النزاع إلا كزبد الصوفية وقد تمثّل ذلك فى أكثر من موقف للملك الناصر لعل أولها ذلك السؤال الذى طرحه أمام الفقهاء بشأن إتباع ابن عربى وكان من الأسباب الرئيسية التى أثارَت القضية من جديد واحداثى هو بين فريق الفقهاء أنفسهم حيث امتت جواباتهم على السؤال مختلفة بين مؤيد للصوفية ومعارض لهم .

أما نص السؤال فقد أورده القارى وهو كما يلي :-

(ما تقول السادة العلماء شداقه بهم أزر الدين ولم بهم شمت المسلمين فى

(١) للزجاجى : هداية السالك مخطوط .

الشيخ محيى الدين بن العربي رضى الله عنه وفي كتابه المنسوبة كالفتوحات
والقصود وغير ذلك فهل يجوز قراءتها وأقراؤها وهل هي من الكتب المسموعة
المقررة أم لا فتونا ما جرد بين جوابا شافيا فيها لتحوزوا جزيل الثواب من
الله الكريم الرحيم (١).

فأجاب على هذا السؤال محمد الدين الفيروز أباذى الذى كان الملك الأشرف
قد خصه بهذا السؤال وحده من دون بقية الفقهاء .

ومن منا يدون أن الملك الناصر لم يستفتى الفيروز أباذى إلا لعلمه المسبق
أن جوابه سيكون لصالح الصوفية حيث كان الفيروز أباذى يهذب تعاليمهم
ويحسن الظن بهم ومع ذلك فقد أتت الجوابات من أكثر من جهة وكان من بين
الجبين لفتية ابن الحياط الذى عرف ببداهة الشهيد للصوفية فكان مطلع جوابه
(لأن ابن الحياط أن لا يأخذه في الله لومه لأتم لا يجوز ولا يحمل تحصيل
كتاب الشيخ ابن عربى لأقراءتها ولا أقراؤها فانها مردودة على مصنفها) (٢) وهكذا
كان جواب ابن الحياط مانعاً لما ذهب إليه الفيروز أباذى فكان من المحتم
أن يرد عليه بقصد الدفاع عن نفسه ومن بين ردوده الكثيرة الرد المشار إليه آنفا
بشأن (الاعتباط لمعالجة ابن الحياط) على أنه أحد ردود ثلاثة أوردتها
المواجى في كتابه ومن بين الذين تصدوا الرد على ابن الحياط ومناصرة الشيخ
محمد الدين الفيروز أباذى قادم آخر هو الشيخ محمد بن على الشيبى زد على
ذلك أن كتاب (الرد الثمين في مناقب الشيخ محيى الدين) ما وضع إلا بقصد
الرد على ابن الحياط وذلك بإشارة من أحد رؤسا الصوفية في ذلك الوقت (٣)

(١) القارى : مناقب ابن عربى ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٦٨ ويوضح من كلام القارى أن الملك الناصر خصه بمؤال مستقل
لأنه يميلون لفتية الكتب المنسوبة إلى ابن عربى . الخ

(٣) يقول القارى في مقدمة كتابه (وبعد فهذه رسالة اسميتها (الرد الثمين) وارسلتها =

ومؤلفه هو الشيخ المرشد إبراهيم القارى وهو أحد القادمين الذين أتوا إلى اليمن
خلال معمة النزاع . وهكذا يتضح لنا أن الواقدون قد لعبوا دورا هاما في
مسئلة النزاع وكانت مشاركتهم الفعلية بالدفاع عن الصوفية في وجوه خصومهم
من الفقهاء عاملا في ميل الصوفية إليهم وتقريبهم اليهم وقد اجتمع عند الشيخ
الجبرتي جمع كبير منهم من مختلف الأنظار وأغلبهم من بلاد فارس الذين
كانوا يميلون في اعتقادهم (إلى العلوم العقلية من غير معرفة بصحيح العقائد
وفاسدما) (١) وكان من أبرز هؤلاء الشيخ عبد الكريم إبراهيم الجبلى الذى
توفى في زبيد نحو سنة ٨٢٦ هـ ومحمد بن محمود الكرمانى الذى كان قدومه في
وقت متأخر من حياة الشيخ إسماعيل الجبرتي وقد قام بدور فعال في القضية حتى
أن معاداة العقهاء للصوفية قد تركزت في شخص هذا الرجل بما عرف به من
جراه حفرت عليه خصومه .

وعلى العموم فقد تضافرت هناك عدة عوامل على نصرة الصوفية وكانت
سياسيا وإسباغ الهزيمة على خصومهم الفقهاء فنرض شيخهم أحمد بن أبى بكر
الناشرى لعدة مناسبات (حتى أنهم سعوا به إلى السلطان بكل ممكن من منعه
من الفتوى وإخراجه من زبيد وإعدام صورته بالكلية فحماء الله من شرم) (٢) .
وهذه هي الحالة العامة التى وصل إليها الفقهاء في مرحلتهم الأولى من
النزاع مع الصوفية وهي حالة يأس وعنا لا يكاد يسلم منها فقية ينكر على الصوفية
شيئا من تعاليمهم .

= إلى الصنو العزيز المرشد الشيخ عهاب الحق والدين أحمد بن الزهاد الصول اليمنى يخبره قد
الله لشيخ أحمد الزهاد

(١) الاحمد : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٢) الاحمد : كشف الظلمة ص ٢٢٠ .

ثم جاءت المرحلة الثانية من النزاع اترسخ سيطرة الصوفية التامة على الموقف بتولي شيخهم الفقيه أحمد بن أبي بكر الرداد زمام القضاء العام ومسو أعظم للقضاء الحكومية بعد مرية الأمانة . وقد ظل هذا المنصب شاغرا مدة طويلة بعد وفاة محمد الدين القيروز أباندى لم ينفذه أحد من الفقهاء حتى سنة ٨٢٠ هـ وكان لذلك الناصر بنوى توليت أحد مشاهير العالم الإسلامى وقد ذكر العلامة ابن حجر المصلى أن الملك الناصر كان يزمع إعطائه القضاء العام وهو لا يزال في مصر (وقد تركه شاغرا هذه المدة منتظرا قدومه)^(١) ولما لم يحضر^(٢) رأى أن يتول القضاء أحد علماء اليمن وكان يشوق إليه جمع غفير من الفقهاء وعلى رأسهم فقيه إسماعيل بن أبي بكر المقرئ^(٣) الذى كان يرشحه لهذا المنصب أكثر علماء زمانه لشككته التام من معرفة علم الفقه وتأليفه فيه إلا أن الصوفية راوا في تولية ابن المقرئ زمام القضاء خطرا يهدوم (وخشى بعضهم أن يتمكن ابن المقرئ من الإنكار عليهم)^(٤) فما كان منهم إلا أن أسروا بطلب القضاء من الملك الناصر الفقيه أحمد بن أبي بكر الرداد وكان هذا من ذوى الحظوة عند الناصر

(١) ابن حجر أبيه الفرج ج ٣ ص ١٧٨

(٢) وصل ابن حجر المصلى إلى اليمن قبل هذا التاريخ مرتين الأولى سنة ٨٠٠ هـ والثانية سنة ٨٠٦ هـ انظر مقالنا (العلماء القادمون إلى اليمن في العصر الرسولى) مجلة اليمن الجيد المرمم سنة ١٣٩٤ ص ٣٩ .

(٣) كان ابن المقرئ يطمح ل تول القضاء ويغال أن الملك الأشرف حينه الشافعية كان مصر (فأخبر ذلك لطمع في الأسطرلو في قضاء الأفضية فلم يتم له وكان يرجو قضاء الأفضية في حياة السيد القيروز أباندى وحصل عليه) (البدر الطالع ج ١ ص ١٤٢)

(٤) أباندى

حيث (كان يحالسه في خلواته وبرافقة على غيواته)^(١) بل أن الملك الناصر تزوج ابنته بعد ذلك^(٢) فأجابهم إلى ذلك . وحول مسألة تولي ابن الرداد القضاء رسمية فيه تقف عند قوانين متعارضين الأول يرى أن ابن الرداد (لم يسم إلى ولا تحيل لاستحصاه ولا خطر فيه ولا تشوق له)^(٣) ولم يقبله إلا بعد تمنع شديد وقد (وقف الملك الناصر يدعو له إليه ويحضره عليه وهو يتندر ويستغنى فلا يعذره من ذلك)^(٤) أما القول الثانى فيذهب إلى أن ابن الرداد كان ممن سعى إليه (وبأدر إلى طلبه من الناصر)^(٥) وعلى كل فقد ارتضاء الملك الناصر فكان بهذا العمل قد أثار حفيظة الفقهاء الذين أخذوا يلومون الملك الناصر في سلوكه ويتمونه (بهرب الخمر)^(٦) وعدم المعرفة بحقيقة العلماء^(٧) وقد اتفقوا جميعا على أن ابن الرداد غير صالح لتولى هذا المنصب الهام فقد كان (مزجى البضاعة في الفقه عديم الخبرة بالحكم)^(٨) أما ابن الإهدل فيرى أنه (ضعيف الأهلية لقلة العفة وعدم مراعاة وظيفة العلماء من التزه .. من سماع

(١) ابن حجر أبيه الفرج ج ٣ ص

(٢) المصدر السابق .

(٣) البريبي : تاريخ البريبي (مخطوط)

(٤) للزجاجى هداية السالك (مخطوط)

(٥) — (٦) أبيه الفرج ج ٣ ص ١٧٨

(٧) من ذلك قول ابن المقرئ (مرضا بملك الناصر في عدم تفرقة بين شيخ الصوف وشيخ الفقه يقول :

انصب شيخ للتناوى فيكم كما الفيج منكم للصوف ينصب (يقول ابن المقرئ ٤٩) .

(٨) ابن حجر أبيه الفرج ج ٣ ص ١٧٨

الملاهي المكروهة والمحرمة^(١) وكذلك ابن المقرئ فقد سخر من تولى ابن الرداد اقتضاه وحاول التعريض به في مبه إلى الرقص يقول : —

قل فاضى القضاء بملك العصر : جميعا ونورعين الزمان^(٢)
ولون الرقص بالقضاء وغيره أوجع المنصبين في الميزان الخ..

على ان قضاء ابن الرداد ليس كله سيئات كما يصفه خصومه فهناك بعض الحسنات التي ادخلها على قضائه (كمنه في استخراج الوقف الذي قد كانت الملوك قد ادخلته في دقائهم وصرفه مصرفه ورفع (الوفر) الذي كان يقتضيه الملوك من الوقف^(٣)) اما قاعدته في ممارسة القضاء فقد أشار إليها معاصره المزجاجي بقوله (اذا جاءته الخصومات بصرفها إلى نوابه قضاء الفرع المدة لسماح الدعوى والإثبات وفي بعض القضايا يأتي القاضي إلى مجلسه لتنفيذ الحكم عنده تورها منه أن يباشر الحكم بنفسه^(٤)) :

ومكذا يدرك لنا ان الرداد كان عنده أهلية لتولي هذا المنصب الكبير وليس الأمر كما ذهب إليه خصومه إلا أنه قد اشتغل في حق اعدائه ولم يراعى معهم الاضاف الذي يتطلبه منصبه حتى أصبح تولي القضاء من أكبر المحن التي قاسى منها الفقهاء وقبل الدخول في تفاصيل أعماله الانتقامية ضدهم نحب ان نشير إلى أن المقاومة من قبل الفقهاء ظلت مستمرة بعد وفاة رئيسهم أحمد بن أبي بكر القاسري ولم يرهيم مكانة الصوفية التي وصلوا إليها في عهد شيخهم ابن الرداد وكان من اعلامهم في هذه الفترة ثلاثة أشخاص تزهوا بالحركة ضد الصوفية وهم :

(١) ابن الأعمش : كشف الظلمة ص ٢١٧

(٢) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ٢٤

(٣) البرهسي : تاريخ البرهسي (مخطوط) .

(٤) المزجاجي : نهاية السالك (مخطوط) .

١ — محمد بن علي بن نور الدين الموزعي المتوفى ٨٢٥ .

٢ — إسماعيل بن أبي بكر ابن المقرئ المتوفى ٨٣٧ .

٣ — كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي^(١) المتوفى سنة ٨٥١ .

فأولاهم وهو الشيخ الموزعي كان على جانب كبير من المعرفة لأسرار نخلة ابن عربي وقد قام بنفسه بدراسة كتبه والرد عليها في مؤلف له

ويقول ابن الأمدل أنه أول الفقهاء الذين باثروا قراءة كتب ابن عربي والرد عليها من نصوصها المستقاة منها . وقد مكنته معرفته من مناظرة أصحاب هذه النحلة فقد ذكر ابن الأمدل أنه ناظر الشيخ محمد بن محمود الكرماني — أحد اتباع ابن عربي في اليمن — إلا أن المناظرة لم تكن (بحضرة من يبر الحق) ويقضى به بل بحضرة من هو يصدد المحاباة والمدامنة في دين الله وعدم التحقيق لاصول الدين وأقول الزائفين^(٢) وهكذا فإن الموزعي لم يتم له التخلل على خصمه لوجود فئة كانت تناصر الكرماني واغلب الظن أن هذه المناظرة حدثت في عهد تولى ابن الرداد القضاء على أن ابن الرداد نفسه كانت له جولة مع الموزعي في المناظرات وقد استدعاه من قريته إلى مدينة زبيد (فلما وصل اجتمع مع جماعة من الفقهاء والصوفية في مجلس حافل وطالب ابن الرداد مناظرته فأبان الموزعي حجته بطلان كلام ابن عربي في كنه^(٣)) ويبدو أن النخلة هذه المرة كانت للموزعي حتى أن الصوفية (ممسكة بالفتك به فقام لنصرته الأمير محمد بن زياد

(١) هو موسى بن محمد الضجاعي كان من كبار فقهاء عصره تولى التدريس بجملة زيد وانتهت إليه رئاسة الفقه والحديث له من المؤلفات (غاية الأمل في فضل العلم والسل) وكتب (الأقوال الواضحة الصريحة) ١٢٢ السابق ذكره .

(٢) الأمدل : كشف الظلمة ص ٢٢١ .

(٣) البرهسي : تاريخ البرهسي (مخطوط) .

فخلصه منهم (١) وهكذا لما الصوفية إلى القوة في حين كان عليهم مقارعة الحجة بالحجة ، وما تعرض له المزعى من قبل الصوفية ليس إلا بداية الحق والتكليف بالفتاء في عهد ابن الرداد الذي يتعرض له فيما بعد .

أما الشخصية الثانية فهي شخصية ابن المقرئ وهو العلم الأكبر في قضية النزاع حتى كاد أن يغفل أحداها بفردته دون الاعتماد على غيره وسنجد اسمه يبرز واضحا خلال للرحلتين الثانية والثالثة من النزاع في حين لا نكاد نجد له ذكرا في أحداث المرحلة الأولى وهذا الأمر سيدفعنا إلى التساؤل عن سر تباطل ابن المقرئ في مناصرة الفقهاء وقد كان في ذلك الوقت في سن تأمله للمشاركة في القضية حيث كان قد تجاوز الحاشية والمشرية هنا نجد حقيقة الخبر عند بعض المؤرخين الذين اهتموا بالكتابة منه فقد أشار إلى هذا التباطل صراحة مناصرة المؤرخ ابن الأمدل بقوله (بعد موت الناصري قام بالإنكار القاضي شرف الدين إسماعيل ابن أبي بكر المقرئ ولم يكن قبل ذلك يعرض لشيء من ذلك) (٢) أي أن ابن المقرئ لم يكن من المتكبرين على الصوفية في حياة الناصري وقد كشف لنا عن هذا الجانب المجهول من حياة ابن المقرئ مناصرة للمزجاجي الذي وقف بنفسه على منطوق من كتاب (الوصايا) (٣) لابن عربي مع تقولات مختلفة من كتاب (كنه مالا بد منه) (٤) لابن عربي أيضا بقلم ابن المقرئ بما يوحى بأن ابن المقرئ كان يستحسن شيئا من تعاليم ابن عربي بل أنه قد اتناه عليه بكلام حسن في أول المصروع نستمع للمزجاجي وهو يخاطب ابن المقرئ مذكرا له بهذه

(١) المصدر السابق (مخطوط).

(٢) الأمدل : المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) كتاب الوصايا يوجد ظاهريا بأخر كتاب الفتوحات المكية لابن عربي انظر مثلا طبعة سنة ١٢٢٩ ع ٤٤٤ .

سنة ١٢٢٩ ع ٤٤٤ .

القضية بقول (وقد وقفت لك بما أخفى على جمع (مجموع) كنهه بخطك مختصرا فيه كتاب (الوصايا) للشيوخ عيسى بن عربي ذكرت في أول شيئا من كتاب (كنه مالا بد منه) للشيوخ عيسى الدين بن عربي لوقوعه عندك موقعا حسنا فذلك أنييت عليه في أول الترجمة فقلت (الشيخ الإمام العارف باقه عيسى الدين بن محمد بن عربي نفع الله به) هكذا هو عندى بخطك والجمع المذكور (١) ومن هذه الحجة التي اشتهرها المزجاجي في وجه ابن المقرئ يتضح لنا جليا أن ابن المقرئ قد تأخر عن نصرة الفقهاء في مرحلتهم الأولى حتى كان هذا التأخر سببا في مناصرة جماعة له من آل الناصري الذين أنكروا عليه عدم مناصرته لتقريبهم الشيخ أحمد الناصري وسنجد ابن المقرئ أمام هذا الإتهام قد برر موقفه بعذر مقبول وهو أنه لم يكن له علم فلسفة بن عربي الصوفية وعلى الأخص تلك التي بنها في كتابه (الفصوص) وذلك أثناء مصارعة الناصري للصوفية يقول :

قالوا تصيب آل الناصري على تخلفي عن أخيم غاية العجب وقيل لم أناصره غداث لقي في القول بالحق مالاقي من النصب والمصدر إلى لم اخر بعدته على الفصوص وهذا الكفر والكذب (٢) والمهم فائقا نريد أن نخرج من هذا كله إلى بداية نجددما شأن ابن المقرئ في الإنكار على الصوفية وأغلب الظن أنها كانت بعد تولي ابن الرداد القضاء العام فقد أثار فيه استنثاره ابن الرداد بمنصب القضاء روح الإنكار على الصوفية ومن سار سيرهم حتى كان هذا عاملا على التنفيس على مساوئهم والبحث عن فضائهم الخلقية والدينية إذ ليس من السهل على ابن المقرئ أن يترك خصمه يتم هذا المنصب الكبير وهو الذي طالما صغى في الحصول عليه .

(١) المزجاجي : المصدر السابق

(٢) ابن المقرئ : مجموع خبره ص ٩ .

ومن هنا أتوا صخط ابن المقرئ على الصوفية في شخص ابن الرداد ثم أصبح بعد ذلك عقيدة راسخة عنده يدها إليها عن بعض الإيما والنية الخاصة وقد اكتشف هذه الناحية أحد انصار ابن الرداد فذهب إلى أن إنكار ابن المقرئ على الصوفية لم يكن إلا بقصد الاساءة لشخص ابن الرداد يقول المزجاجي مخاطباً المقرئ (١) (وكنك ما قصدت بالاطباب في الطعن في ابن عري إلا توصلاً لإبلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد والقدح فيه والطعن في الطائفة الصوفية وذلك لما نافست من لا يقصد منافستك ولا منافسة غيرك) ولعل المنافسة التي بينها المزجاجي كانت حول مسألة تولي القضاء العام ولا أظن أن الشيخ ابن الرداد قد تولي القضاء بقصد الإغاضة لابن المقرئ ومنافسته وإنما كان ذلك منه خشية من أن يتولى هذا المنصب العام رجل ليس له إلتيا يذكر بالصوفية ويبدو أن الفترة الطويلة التي أعقبت وفاة الفيروز أباذى وجعل القضاء العام شاغراً كانت قد أبايت ابن المقرئ كشخص معارض للصوفية وإلا لما كان ابن الرداد قد سعى في القضاء بقصد إزاحة ابن للمقرئ عنه .

وعلى كل فإن بداية معارضة ابن المقرئ للصوفية مسألة تحتاج إلى نصوص صريحة تبين زمنها التاريخي وبالرغم من أن جامع ديوانه قد أشار إلى أول قصيدة قالها في الرد على الصوفية (٢) إلا أنه أغفل تاريخها وبذلك يكون قد أضاع علينا آخر دليل معاصر يمكن أن نقسب به حول بداية ابن المقرئ مع الصوفية ولم يبق أمامنا سوى أن نحمل من معارضة ابن المقرئ لابن الرداد بداية لإنكاره على الصوفية عموماً وقد بدأت أولاً على شكل مقطعات شعرية كان يقولها في ذم

(١) المزجاجي : المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤ وهذه القصيدة مطلها :

برغم سنة خير النجم والغرب أصبحت ساجدا للهو والعب

الصوفية ثم طورت إلى أن أصبحت مشاركة فعلية مع رجال الزواج الذين ما مضوا الصوفية وقد كان ابن المقرئ قد شن حرباً على الصوفية أثناء تولي ابن الرداد القضاء العام كما رأينا ذلك في أكثر من حادثة تاريخية أشار إليها المؤرخون ويقول ابن الأهدل أن ابن المقرئ قبل أن يتصدى الرد على الصوفية استأذن في ذلك السلطان الناصر فوعده السلطان بالقيام في نصرة الحق إن اجمع القضاء على إنكار أفكار الصوفية الفاطمية ووعده بأنلاف تلك الكتب (١) وقد كان هذا الموقف من قبل السلطان الناصر بداية حسنة بالنسبة لابن المقرئ وشجعه على مواصلة السهر في منامضة الصوفية لجمع كرامة كبيرة فيها كل الأقوال التي خرج بها الصوفية عن قاعدة العربية ثم مرطها على الفقهاء (فافتى بتكفيرهم أكثر فقهاء الوقت بناء على ما جمعه ابن المقرئ) (٢) ويطلق ابن الأهدل على موقف بعض الفقهاء خلال سعي ابن المقرئ في جمع الفتاوى بشأن الصوفية أن (بعضهم أطلق التكفير وبعضهم حلق بصحة ذلك وبعضهم أحجم عن الجواب مراعاة لابن الرداد إذ كان ذلك في حياته) (٣) وهكذا فإن ابن المقرئ استطاع أن يجمع نصوصاً كثيرة من فتاوى العلماء بلغت ثلاثين فتوى من ثلاثين عالماً كما يتبين لنا ذلك من شعر ابن المقرئ :

فهذا كتاب الله بيني وبينكم يقرئ عيسى المكابر
وهذى خطوط الانقياء ذوى الهدى وأهل العلوم التهمات الزواهر
ثلاثين جبراً كلهم عند ربهم مكين أمين غير خب مقام (٤)

(١) ابن الأهدل : كشف النطاء ص ٢١٧

(٢) ابن الأهدل : المصدر السابق ص ٢١٦ وتحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) ابن الأهدل : تحفة الزمن مخطوط .

(٤) ابن المقرئ مجموع شعره ص ١٨

وكان هذا التحرك الشيط من قبل ابن المقرئ دافعا قويا لقيام ابن الرداد بمواجهته والرد عليه في «وثاب مستقل له كتابه المسمى (الشهاب الناقب في الرد على بعض أول المناصب) وكان ذلك منه بقصد إحباط سمعاه عند الملك الناصر وقد احتفظ لنا ابن المقرئ بشيء مما كان يرد عليه خصمه في كتابة المذكور من ذلك قول ابن الرداد أن ابن المقرئ في قده الصوفية ليس إلا مغتابا فيجب عليه صاحبنا :

هل الأمر بالمعروف عندك غيبة وهل سب عرضا من نهي عن مناكر (١) وينفي ابن المقرئ عن نفي الدعوى بتكفير ابن الرداد التي يمتعه بها فيقول : ففى أى بيت قلت أنك كافر وما كان هذا القول منى بصادق (٢) وفي نهاية الأمر يخبر ابن المقرئ من تأليف خصمه في الرد عليه ويقول له (ملا استشرت أحدا من الناس عند تأليفه).

فلا استشرت الناس عند كتابه . فإكت يخطو من نصيح مشاور ولواعطى المطبى كتابك رشده طواه على غرامه والمكاسر واغفاه لكن ما لخطى بعورة إذا كشف البارى غطاءه بسائر (٣)

وسجد ابن المقرئ يذكر خصمه بكثير من المواقف التي وقف فيها معارضا له بقصد المعارضة لا غير كخذلانه عند السلطان بشأن مساعدة مسلمى الحبشة وملكهم المحاصر من قبل أعدائه الكفار :

أذكر إذ شمرت ذيلك ناهضا لخللان سعد الدين يوم التناصر وقد جاء علم أن كفار قطره غشوه وقد اضحى ببعض الجوائر

(١) المصدر السابق ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

فناديت يا المسلمين رجالكم فدعيت راني بل تقضت مرارتي
ولازعتنى عند المليك معارضا لما جاء في دفع العدو من أوامري
واقفيت أن ليس الجهاد بواجب علينا وقد مالاك بعض الحواضر
فأستعطف أئمة من رجال غررتهم وبؤت به مثل الرواسى الصماخري
فلو قدرت من بابك لك غيبة لفرج بالفارقات كرب الماخر
وطبق ظهر البحر جيفنا إليهم نظير باقلاخ الجوارى الماخر
حشرت لأجال حشرون ولو بقى لهم أجل ما كنت فيها بمخاضى
وظلكت سيوف الكافرين تتوشمهم وتطممهم غرنا الطيور الطوار
واكبانا مصلى بنار من الآسى وأنت بنا تهزأ قربن التواظر
تعيجم من إناى قلت خطبة أحاول نصر الدين من غير ناصر
وما بى يستهزئ ولكن برينا فافرحه عنى ولا من أوامري (١)

إلى آخر هذه الآيات التي تشرح قضية تاريخية أغفلها المؤرخون من أهل اليمن (٢) وتتلخص في أن ملك الحبشة المسلم سعد الدين (٣) حوضر من قبل الكفار فطلب من الملك الناصر مساعدته بالسلاح والجنود وقد أبدته في طلبه هذا ابن

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) كل ما طفرت به حول هذه الحادثة التاريخية هو قول المؤرخ يحيى بن الحنين في حوادث سنة ٨٢٥ هـ أى بعد طلب ملك الحبشة المساعدة بـ ٤٠٠٠ رجل (فيها قدم ولد سعد الدين المجاهد من الحبشة إلى بندر البصرة منتهز من المشركين ثم دخل مدينة زيد فنهض إليهما السلطان من قم وأكرمهما وجيزهما بمائتي فرس وما يتبعها .

(٣) هو جمال الدين محمد بن سعد الدين قتل سنة ٨٣٥ (أنظر ترجمة في أبناء النصر

المقرى وحرض الناس بالخطب بقصد التطوع والجهاد إلا أن ابن الرداد وقف له معارضا محتجا بذلك بأن الجهاد غير واجب على المسلمين في تلك الأعمار إلى أن كانت السائرة على المسلمين وهزم الملك سعد الدين نتيجة لموقف ابن الرداد الجارح ومن منا رأينا ابن المقرى يتحسر على عدم نصرته ويحمل خصمه مسؤولية تثييط المهتم من القيام بواجب الجهاد .

وكانت هذه الحادثة في حقيقتها صورة من صور المفاصلة بين الرجلين وقد ربط ابن المقرى بين هذا الموقف لابن الرداد وتسكيته بجمهور الفقهاء من المنكرين على الصوفية فيقول :

ولا مالفى في الله منك رجالة من الهول في إنكاره والمخاف
كتل ابن نور الدين حباة ربه ومثل الحرازي والرجال الأواخر
وكانا شري الجبر أحد ذى التقا ملكك بما اذيت كل ناشرى

وهكذا يعطى قد ابن المقرى صاخبا عنيفا فلا يكاد يسمعه خصومه حتى يتحاشونه بالمديد من الرودود المصنف وقد ذكر البرهوى أن نقد ابن المقرى على الصوفية اشتهر شهره واسمه حتى (بلغت شهرته إلى مصر والشام) .

« محنة الفقهاء »

وسواء وفق ابن المقرى في رده على الصوفية أم لم يوفق فإن ابن الرداد استطاع أن يثب حرم السلطان الناصر عن القيام معه في وجه الصوفية بعد أن جمع له ابن المقرى الفتاوى المطلوبة فتصل من كل ذلك ولم يبق بوجهه . وهذا يجرنا إلى البحث حول سياسة الناصر التي تعتمد في كثير من الأحيان على أسلوب المراوغة وهدم تغليب أحد الفريقين المتنازعين على الآخر وهي نفس السياسة التي تبناها والده الملك الأشرف وإن كان الأخير له بعض الميل الملحوظ إلى

ناحية الصوفية بل قد رأيناه في آخر عمره ينحاز كلياً إلى جانب الصوفية كما سنرى ذلك فيما بعد .

وهكذا فإن العمل الذي قام به ابن المقرى ومن تبعه من الفقهاء في التحريض على الصوفية ليس له أثر ايجابي يذكر وكل ما أحرزوه هو آثاره الشبيخ ابن الرداد عليهم الذي سعى في التشكيل بهم مدعوماً في ذلك بمركزه الهام وصلته الوثيقة بالملك الناصر فقد ذكر ابن الأمدل أنه لما نجح الفقهاء في تحريض العامة على الصوفية وشاع (تكفير من يتدين بذهب ابن عربى في مدينة زيد)^(١) اتصل ابن الرداد بالملك الناصر وكان في ذلك الوقت يصطاف في مدينة (٢) تمر وشكى إليه فعل الفقهاء فخشى السلطان أن تحدث (فتنة بين الفقهاء والصوفية بمدينة زيد ويحصل في المملكة حدث)^(٣) فاصدر أوامره بتشكيل الفريقين إلى أن يعود من مدينة تمر وفي تلك الاثناء اغتتم ابن الرداد فرصة الهدوء النسبي وقام بحملة شاملة لتأديب الفقهاء فتمهم (من ضرب ومنهم من أخيف ومنهم من هرب وخرب داره ومنهم من رجع عن تفكيك ابن عربى وأباحت)^(٤) .

وكان من ضحايا الحادثة المقيية ابن نور الدين الموزعى الذى مرت بنا مناظرته لابن الرداد فقد سعى هذا في نزع أسبابه المعيشية وحاول القضاء عليه بكتابة محضر (كتبه عليه قاض موزع يومئذ وكان من أصحاب ابن الرداد

(١) الأمدل : كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٢) كان الاصطيف بمدينة تمر من العادات الثابتة عند الرسوليين وقد أشار إليها العمري في موسوعته - مالك الأبيار يقول : ان صاحب اليمن يحيى بن وهب (٦) يريده انظر مالك الأبيار : قسم خامس بملكية اليمن ص ٤٦ .

(٣) الأمدل .

(٤) الأمدل .

(٥) الأمدل .

(٦) الأمدل .

(٣) الأمدل كشف الغطاء ٢٢٢١

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة

فصله الله من شره) (١) ثم أمر بقتله من بلده ومن بين المصلحين الفقيه ابن
الحرازي (٢) الذي نفى من اليمن بسبب فتوى قالها في تحريم المساح كما استدل
من نظم ابن المقرئ يقول :

أقن الحرازي بتحريم القتل نفى عن البلاد كما ينق أخو الجرم (٣)

أما ابن المقرئ فأغلب الظن أن ابن الرداد لم يستطع أن يسه بسوء لأسباب
تعود إلى شخصية ابن المقرئ القوية ومكانته العالية في الدولة إلا أن بقية الفقهاء
قد أصابهم الأذى العامل فنه من ضرب ومنهم من نفى ومنهم من سجن وقد
أجمل لنا هذا الموقف المؤرخ ابن الأمدل قال عند حديثه عن ابن الرداد (ونصب
الجلال لفقهاء وقته لانكارهم عليه بالشرع وجرت لهم أمور يطول شرحها من
السعي إلى السلطان بالأذى والامتحان للفقهاء فوقعوا بسببه في شدائد) (٤).

أما ابن المقرئ فيصور هذا الموقف بأسلوب شعري مؤثر فيقول :

في كل يوم قتل أما يحاط به منهم فيسحب سحب الجازر الجزري
أهم حارب من قد قامت قبائمه نطار في الأفق لا يلقى له أثرا
تقسمهم بقاع الأرض فانهذفوا وخلفوا في القلوب الحزن مستعرا (٥)

ولم ينج الفقهاء مما أصابهم في محنتهم سوى موت ابن الرداد في سنة ٨٢١
ببلده (فكانوا يحرقونهم قراضا عظيمًا للفقهاء) (٦).

وبموت ابن الرداد انتهى جولة ثانية من الصراع بين الفريقين

• المرحلة الثالثة •

فقد الصوفية بموت ابن الرداد أكبر مناصر لهم أمام خصومهم من الفقهاء
إلا أنه لا يزال هناك من يدافع عنهم بكل قواه وعلى رأس هؤلاء الملك الناصر
الذي احتضن اتباع الشيخ ابن الرداد بعد موته ووقف في وجه كل من
ينكر طيهم .

ولم يبق الا اثنان يرجى لواحد : متاب ولثاني حسام مجرب (١)

فالأول هو الشيخ المجاجي الذي يتوقف ابن المقرئ في أمره ويرى أنه
(صالح وسليم النية) (٢) وإنما كان يحسن الظن بابن عربي ويرغب في تعاليمه
عن جهل بحقيقة أمره ومع ذلك فهذا الرجل هو الذي تصدى لابن المقرئ في
مؤلف ضخم كتبه قبيل وفاة ابن الرداد بأشهر قليلة وسنعرض له فيما بعد .

وأما الثاني فلا شك أنه يعني به الكرمانى وقد كان ابن المقرئ يقول بتكفيره
منذ مدة وقد دعى إلى قتله في أكثر من قصيدة موجهة إلى السلطان على اعتبار أنه
(يعتقد مقالات ابن عربي ويعرفها بأعيانها) (٣) هؤلاء هما شخصي النزاع اللذان
ترأسا المعركة من قبل الصوفية وستجدهما قد استعملا نفس السياسة التي سار
عليها سلفهم من الصوفية أمثال الجبرتي وابن الرداد في التقرب إلى السلطان
والاستعانة به في مجابهة خصومهم من الفقهاء فقد كان المجاجي على الرغم من أنه
صاحب ثروة وبسار إلا أنه لم يترك جانب السلطان والاستعانة به على خصومه
وكذلك الكرمانى (٤) .

(١) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤٦

(٢) الأمدل : حصة الزمن (مخطوط)

(٣) الأمدل المصدر السابق

(٤) الأمدل المصدر السابق ويقول البيهقي في حديثه عن المجاجي (وصحب الملك

الأشرف واجهه الناصر وكانت له منزلة عندهما)

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) الأمدل : في حجة هذا الجليل ليس هو به أسبه كلبا .

(٣) الأمدل : في حجة هذا الجليل ليس هو به أسبه كلبا .

(٤) الأمدل : حصة الزمن ٢٥٥٠ ص ٢٥٥٠

(٥) ابن المقرئ مجموع شعره ص ١٥٠

(٦) الأمدل : كتب القضاء ص ٢٢١

(٧) الأمدل : كتب القضاء ص ٢٢١

(٨) الأمدل : كتب القضاء ص ٢٢١

وقد الفخول في تفاصيل أحداث النزاع التي أسفر عنها تحرش الفريقين بعضهم البعض نحب أن نقف قليلا عند طبيعة العلاقات التي ربطت بين رئيسي النزاع في هذه المرحلة من ناحية الصوفية والفقهاء وأضنى بهما المزجاجي وابن المقرئ وقد إبان عن هذه العلاقات كل من الرجلين في الردود التي تخطت النزاع وأنت محمد ابن المقرئ قد صرح بصداقته للمزجاجي في أكثر من مقطع كقولہ .

وما عجبى من أعجمي^(١) وبضه لدين بفضل المعجم لا العرب معرب
لذاك عدو والشبيد محمد ولكنني من صاحب لي امجب^(٢)
ويذكر من مفارقتة له بعد نزاعه معه في مسائل التصوف فيقول :
فأدبه في الله من بعد ما مضى . لتأزمن وهو الصديق المحب
وجانبة إذ لم يكن لي بخلص من الله إلا هجرة والتجنب
وما كنت أرضى هجرة وفراقه ولكن رضى الباري أم وأوجب^(٣)
فابن المقرئ يؤكد صداقته للمزجاجي في كثير من نظمه حتى في تلك المأقطوعات التي تلمس فيها تقدمه اللازم له .

أما المزجاجي فنجد أنه يذكر ابن المقرئ متبوعا بلفظ أخى وصديقى (
إذن فهناك صداقة بين الرجلين لاشك فيها إلا أنها سرهان ما أستعالت إلى
هده سافر على أثر اختلافهما في المبدأ وقد أوج هذا العداء مؤلف المزجاجي
المسمى (هداية السالك إلى أسنى المسالك) في الرد على صديقه ابن المقرئ وهو

(١) بنى الكرماني .

(٢) ابن المقرئ : ديوان شعره ص ٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٤٧ .

مؤلف ضخمة فرغ من تأليفه في (أواخر شهر جمادى الأولى من سنة ٨٢١)^(١) أي قبل وفاة شيخه ابن الرداد بنحو خمسة أشهر فقط^(٢) .

وقد طالع ابن المقرئ هذا الكتاب الذي خصص في الرد عليه وحاول تقدمه في العديد من قصائد التي حفل بها ديوانه ومن خلال ما جاء في رد ابن المقرئ نلاحظ كثير من القضايا التي عالها المزجاجي .

فقد أشار ابن المقرئ — أولا — إلى هذا الكتاب وحاول تنسيبه ما جاء فيه بقوله : —

وصنفت شيئا عنه قد كسب في غنايه في الاناشيد وفي الأرض اشخب
وفيه روايات ثبات سقيمة ولا حكم ان صحت عليها ورتب
خرافات ليل والخرافات لنفساء ورويا منام والنامات قلب^(٣)
ثم يعرض إلى تلك الروايات التي يكررها المزجاجي في تناء الطعاه على ابن هري ويحاول ابن المقرئ ان يعتذر لهم بأنهم لم يعرفوا حقيقة هذا الرجل وقد غرهم باسم التصوف .

ذكرت رجالا قلت اتوا بمصالح على شيخكم والبعض شكوا واضربوا
فهيئات ما مثل ولا ساكت دري بما حقه معكم في المجالس ينطرب
ولكنه باسم التصوف غرهم فظنوا والصوفي صلاح ومنصب^(٤)

ويعرض لتكذيب المزجاجي له في روايته التي قال فيها ان كتب ابن هري حرق في مصر وذلك كأن يقول المزجاجي مخاطبا ابن المقرئ (وأما قولك

(١) المزجاجي هداية السالك مخطوط .

(٢) توفى الشيخ ابن الرداد في شهر ذي القعدة سنة ٨٢١ هـ .

(٣) ابن المقرئ : ديوان شعره ص ٤٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٤ .

في القصيدة الرائية ان كتب ابن عربي حرق في جميع الارض فعاش في وادي
الله ذلك ماسع هنا في بلد من بلاد الاسلام فكيف في جميع الارض العاقل
ملاك لا يتكلم بكلام مجازمة لا اوله وكتابه من كتب اهلنا المتبرين ولا في
تاريخ من تواريخ المسلمين (٢٧) ما نجد ابن القري يرد على المزاجي مؤكدا
قوله السابق في رايته فيقول .

بل ثقة من مصر قال رايته (٢٨) بطاف به في حق كلب ويسحب (٢٩)
ويستد قول للمزاجي في نصيحت له (مالك يا أغني والصوفية وعلومهم لم
علوم واحوال ومكاشفات من عند الله فانا وأنت من خيل هذا الميدان اتركهم
وعلومهم واشتغل بما بينك (٣٠) كنستم لابن القري وهو يرد عليه في هذه القطعة:

فان قلت لا أتم ولا أنا عارف بقالة بل مقصد الشيخ أغرب
قل لك لم تكذب بما أنت عارف لنفسك لكن أنت في الخير أكذب
فان هنا لو كنت تعقل من بهم عن هروغ للشكلات ونحلب
إذا كنت لا تقرأ فدع ما جهك وقد رسول الله تبحر وتصحب

(١) المزاجي مدية الملك مخلوط

(٢) بنى به كتاب القصص لابن عربي .

(٣) ابن القري يقول شعره من ٤٤ ول القصيدة السابقة التي رد عليه المزاجي فيها يقول
ابن القري :

أما حرق في مصر والشام كله فاطع أهل العلم بلاد وحاضر
ويؤيده في ذلك أن البلقين قاضي مصر في عهد ابن القري كان من خصوم أتباع ابن عربي
فلا تستغرب أن يقوم بحرق كتب ابن عربي .
(٤) للمزاجي : منابة السالك مخلوط .

عرفنا كلام الله جل جلاله مدع ما يقول الأصمى المتعرب (١)

يقول مخاطبا المزاجي : إذا كنت لا تدري ما بينه شيخك ابن عربي مان
من هذا كله أن توجه إلى الكتاب والسنة فهو أول من تقليد ذلك الشيخ الأصمى
ويبنى به الكرمانى .

ومكنا بمعنى ابن القري في تنفيذ جميع خصمه الواحدة نلو الأخرى .

وقد أصبح ذلك الكتاب الذي وضعه المزاجي في الرد على ابن القري صورة
من مخططات المركبة بين الفريقين فشر أمره وعلى وجه الخصوص أثناء التواضع
المحتدم بينهم واختلعت الآراء حوله لفقاء يرون فيه أنه (آخرى على حكايات
وغرافات) (٢) ومنهم من يشكك في نسبه إلى المزاجي وقد زعم الأمدل أنه
(استعان في تأليفه ببعض التحقيق) (٣) .

والآن — بعد أن عرضنا لمأزج — من الجدال المتعرب المزاجي
وابن القري — سنجد أن الصوفية لم يكتفوا في خصومتهم مع الفقهاء بسجرد
الردود الكتابية فقد سموا بكل تعليل عند السلطان الناصر بقصد إثبات ابن القري
وقد سبق ذلك هذه وشايات على شكل قصائد أرسلت إلى السلطان توعم أن ابن
القري لم يكن يعنى بشكوا الزمان سوى التعريض بمكانة السلطان نفسه ونسمع
أحدهم — وهو ابن رويك — يقول في آخر قصيدة أرسلها إلى الملك الناصر
معرضا بابن القري . —

لا يشككي ريب الزمان معرضا بك إذ بدا من غيره تعرض
لا يبعد التعماء ولا هو يدعى حق العلو وأنه منخوض

(١) ابن القري مجموع شعره من ٤٥ .

(٢) ابن الأمدل نسخة الزمن مخلوط .

(٣) المصدر السابق (مخلوط) .

ويظن أن له طو ما جمعه يشفى بها الأمراض وهو مريض^(١)
حننة ابن المقرئ

وهذه الرشاية وغيرها مما يخصوم ابن المقرئ الجوارح المناسب للإيقاع به عند الملك الناصر فما أسهل من التأثير على شخص مثل الناصر بما عرف به من قلب في قبول الأشياء ورفضها وقد وقع هذه المرة تحت تأثير جماعة من كبار الصوفية أمثال الكرماني والمزجاجي اللذان كان لهما ضلع رئيسي في حنة ابن المقرئ وقد ذكر الأهدل أن الملك الناصر لما قرب إليه الكرماني (قبل منه وشايعته في ابن المقرئ^(٢)) وسرعان ما تحول من صديق مخلص إلى عدو مبين . فأخذ ابن المقرئ حذره من تحريك الملك الناصر ضده حتى إذا أرسل جنده إلى منزله بقصد القبض عليه نهّد ابن المقرئ قد فر سخيلاً إلى قرية بيت الفقية في حمى المشايخ بنى هجيل فلم يستطع الناصر من أن يمه بسوء ويقول ابن الأهدل في وصف هذه الحادثة (أرسل الملك الناصر من هجم على منزله بالنخل وقبض المسكر جماعة من الطلبة وسلم ابن المقرئ ومنزله وكتبه ولم يؤخذ له شيء)^(٣) وهكذا لم يراعى الملك الناصر في صديقه القديم حلمه ولا شيوخه وكان قد ناهز الثمانين سنة^(٤) فقبل من ابن الكرماني سعيته فيه ولعل ابن الكرماني وإضرابه من الصوفية وجدوا في القصيدة التي يقول فيها مخاطباً الملك الناصر .

كلا ودين الله أفضل ما تكلا وأفضل ما أمنت في نهجه السبلا

(١) أورد في هذه القصيدة جامع ديوان ابن المقرئ ص ٢٤٤ .

(٢) الأهدل : كيف النطاء .

(٣) الأهدل : تطلع الزمن (مخطوط) .

(٤) يقول في آخر قصيدة أرسلها إلى الناصر قبل هروبه :

أخذ نصيح من حانا الثمانين سنة ١ وذلك حرم من يقارح فلا
ديوان ابن المقرئ ص ٥٦

فذلك حين ، دين الآله مقدم على كل شيء دق عندك أم جلا
ومنا أنت إلا نائب الله في الورى فلا ذقت يوماً من نايه مرلا
إلى أن يقول :

فواقة لا حاييت في ديني أحرا . ولا صانعت نفس بخالقها خلا^(١)
..... وجدوا فيها منفدا لإغاضة الملك الناصر عليه وقد أشار إلى هذا جامع ديوانه فذكر أن هذه القصيدة هي التي (حصلت عليها الفتنة و نخل وادى ربيد)^(٢) .

ومهما يقال في أسباب نقمة الناصر على ابن المقرئ فإن هناك عدة عوامل تجمعت لتشكيل ذلك الغضب ومن أهمها السماية السيئة ضده وسوابقه الكثرة في مناهضة الصوفية وقد ظال طيلة حكم الناصر معارضا للصوفية بما سببه النقمة . على أن ابن المقرئ لم يقطع كل رشائحه بالسلطان فكان يراسله وهو في منفاه بالقصائد العديدة ويستعطفه فيها ويحثه على العفو كقول في قصيدة إليه :

ولقد فقدت وأنت أعلم منك إنسا ولطفاً ما به تفويض
ورضى وفقد رضاك ليس بهين عندي فيحسن من التفويض
واقه لولا ما تعدتني المنى عنكم وما علمي به محو
ما عدت إلا ريتما يمضى القضا وبقي ينقص بنية تفويض^(٣)

وما زال ابن المقرئ يرسل الملك الناصر بمثل هذا الشعر حتى عطف عليه وفضى عنه ويقال أنه خشى من التجائه إلى الامام علي بن صلاح الدين الامام في ناحية الجبال (ونقل عن الناصر أنه قال أن يطلع ابن المقرئ إلى الجبال كفرونا

(١) المصدر السابق ص ٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٥٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥

واستلوا أهل بلادنا جيله (١) ومن ثم كان تحريه لابن المقرئ مدار له منه وخشية من التجاء إلى الإمام الذي لا شك أنه سيحترق لوجه ابن المقرئ إليه كسبا سيابا كبيرا وذلك لشدة ابن المقرئ وذلك الوقت وموافقة له في الإنكار هل الصوفية لذا فإن الملك الناصر لم يترك هذه الفرصة لخصمه أذرعان ما استدعاه إلى زبيد ولم يعطى على حروبه موافقة (سنة واحدة) (٢).

وبعد ما عاد ابن المقرئ إلى زبيد كان الملك الناصر يجيش آخر أيامه وقد بدأ المرض يابو فلم يبق مسألة الصوفية من الأمور وأكده إلى آمد قصر وكل مانعة من ابن المقرئ في هذه الفترة بضعة آيات يسكت فيها جماعة الفقهاء الذين وقفوا في محنة موقفنا سليما فلم تكن لهم أدنى مشاركة فعلية وقد اعادوا إلى أذهاننا جهودهم وحيداً أثناء الحركة في آيات قالها :

ولم يردى أدموا بين أظهركم فلم يجرى أمره منكم ولم يشب (٣)

بل إن من الفقهاء من لم يكتفى بالسكوت فوقف مع الصوفية معارضا لابن المقرئ ومع جماعة دجروا عدة فتاويات تدمغ الصناعات التي جمعها ابن المقرئ وتذهب إلى تأييد الصوفية وقد أشار إليهم ابن المقرئ بقوله — مخاطبا الملك —

ولا تصغ لفتوى التي نطق بها رجال هوى حابوا رجال هوى شكلا (٤)
وكان من أبرز هؤلاء العلماء الذين انحازوا إلى الصوفية الفقيه هل بن محمد بن فخر

(١) الأمل : كتب النظام من ٢٢٢ وديوان ابن المقرئ من ١٤٩

(٢) المصدر السابق من ١٤٩ .

(٣) المصدر السابق من ٩

(٤) المصدر السابق من ١٥٥

الذي نهى له ترجمة عند البرهاني والسخاوي (١) وقد ذيل هل كرامة ابن الكرمانى بالموافقة هل تعاليم الصوفية فكان هذا العمل مبهم سنط شديد عند ابن المقرئ حتى أنه أرسل إليه قصيدة ينكر عليه موافقة تلك جاء فيها :

بعت الهوى واعتصمت منه ضلاله نعم المبيع وبئس ذلك المشتري

أهل شفير القبر قمعت نعيمه ولو استعصمت به الخلود لتحشرا (٢)

ومن الفقهاء من انحاز نهائيا إلى جانب الصوفية وكان حربا هل جماعة أمثال يحيى بن روبك (٣) الذي وقف ضد ابن المقرئ وظل يتحرش به عند السلطان بالعديد من القصائد رغبة منه في موافقة الصوفية هل معتقدهم والدفاع عن رجالهم أمثال الكرمانى وغيره . وقد كان ابن روبك من طائفة الفقهاء بدليل أنه كان ينكر في أول أمره تعاليم الصوفية يقول المقرئ (٤) :

ما كنت تروى يا ابن روبك قولهم إلا رواية منكر غضبان

(١) ترجم له بقوله هل بن محمد بن عبد الله بن فخر المكي الزبيدي وقد سنة ٧٥٨ هـ وعدم إلى أن صار مفتي زبيد وفيها والرجوع إليه في ذلك الوقت وأكبر مفتيها سنا وأخذ الناس عنه وهو أول من ولي من الشافعية أمامه مسجد الأشاعر بها سنة ٧٧٩ توفي سنة ٨٤٢ هـ ول تاريخ البرهاني ورد ذكر كتاب له بعنوان (الظاهري) صنفه باسم السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الرسول في الفقه . وترجم له أيضا ابن حجر في (إنباء الفهر) والمقرئ في (السلوك) (الضوء اللامع ج ٥ ص ٣١٢) .

(٢) ديوان ابن المقرئ ص ٣٧ .

(٣) ترجم له السخاوي بقوله (أبو محمد يحيى بن روبك شيخ النعاه في عصره باليمن فقه بصنماء ثم استوطن حمز ومدح الملوك وقامت له رياسته معهم . وكان على طريقه العرب لارتجال شعر مات سنة ٨٣٥ في نعل وادي زبيد ودفن هناك (الضوء اللامع ١٠ ص ٢٢٥) .

(٤) ديوان ابن المقرئ

فعلام قتت هبل الآله مضجاً متظاهراً بكرامة الكرماني
ما كنت أحسب أن دينك دينهم أبداً ولا صدقت غير الآي
وبهم المقرئ أذية ابن روبك له بالتحريض عليه عند السلطان فيقول (١)
ثم ابن روبك قائم من موته ويخادع بالسر السلطان
وقد استمرت المداورة بين الرجلين أمداً طويلاً حتى آخر مراحل النزاع بين
الفقهاء والصوفية في عهد الملك الظاهر يقول ابن المقرئ (٢) :

فل لابن روبك لم لا عداة ربنا منك الوداد وللوال الشناة
حاربتني إذ قلت ربك واحد ونصرته إذ قال هو عدة
من أن ابن المقرئ ما كان يبهتهم بالرد على ابن روبك لولا أنه وجد له نفوذ
كبير عند رجال الدولة الرسولية وذلك باعتراف ابن المقرئ نفسه الذي نسمعه
يقول الملك الظاهر :

ورأى ابن روبك أنه في وقته وجه وكلمته بكم مسموعة (٣)

(موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء)

بعد موت الملك الناصر (١) بطالع الفقهاء عهد جديد من الأمن والحرية وقد
انزاح عنهم أكبر عقبة في سبيل إصلاحاتهم الدينية إلا أن الصوفية فقدوا بموت
الملك الناصر أكبر صديق لهم ومدافعاً عن قضيتهم وقد رأينا في آخر عمره يتحاز
إليهم إعجاباً تاماً ضد خصومهم من الفقهاء وقد كان هذا دافعا رئيسيا لنقمة الفقهاء

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٩

(٣) للمصدر السابق ص ٢٤٩

(٤) تولى الملك الناصر أحمد بن الأعراف إسماعيل بن حصن قوارير ودفن بمدينة حمز في ١٦
جواد الآخرة .

عليه فقد وصفوه بأشنع الأوصاف ومنهم من أرجع سبب موته إلى نقمة إلهية
نزلت عليه يقول ابن حجر المسقلاني - وهو فقيه هاشم في مصر إلا أنه كان
يتابع قضية النزاع في اليمن عن كتب - (وكان الملك الناصر فاجراً جائراً مات
بسبب صاعقة نزلت على حصنه المسمى (قوارير) فارتاع من صوتها فتوعلك ثم
مات) (١) أما ابن الأهدل فيصفه بأنه أكثر من شرب الخمر وقرب إليه المبتدعة
حتى (ضاقت منه صدور الناس) (٢) وهكذا فإن موت الملك الناصر يعد من
النعم الكبرى على الفقهاء .

وقد خلفه في الحكم ابنه الملك المنصور ٨٢٩ - ٨٣٠ هـ الذي أخذ من
سيرة والده مع الفقهاء والصوفية المبره إذ سرعان ما قرب إليه جمهور الفقهاء
وأحسن إليهم وكان على رأس هؤلاء الفقيه ابن المقرئ الذي عطف عليه وضمه
إلى مجالسهم (٣) .

وكان ابن المقرئ قد سعى بعد تولي الملك المنصور الحكم مباشرة في العمل
ضد الصوفية إلا أنه وقف أمام عقبة كادها حيث كان الصوفي الكبير محمد بن
محمد المراججي يماله من مكانة قصوى في المجتمع اليمني قد أحبط كل مساعي
ابن المقرئ ضد الصوفية وهكذا كان على ابن المقرئ أن يترك القضية برهة من
الزمن حتى طالعت الأخبار ذات يوم بموت المراججي في ٢٤ ذي القعدة
سنة ٨٢٩ هـ ولم يمض على حكم المنصور سوى سنتين فيكون موت هذا الطم
أكبر قاصمه لظهور الصوفية إذ بموته فقدوا آخر شخصية تنافح عنهم وكان على
الصوفية من أتباع ابن عربي أن يجابهوا الموقف بمفردهم وقد أصبحوا عرضة

(١) ابن حجر أبياء الفرج ج ٣ ص ٣٣١

(٢) غاية الأمان ص ٥٦٦ .

(٣) الأهدل : كشف النطاء ص ٢٢٢ .

حلالات الفقهاء عليهم بعد أن وجد الفقهاء من رجال الحكم إذا ما صاغية لتحريشاتهم
بهم ويستخرج لنا ذلك جلياً في الجاهلية العلية بين ابن المقرئ والكرواني
من الصوفية .

وقبل الدخول في تفاصيل النزاع بين الرجلين يجب أن نعطي القارئ له
من حياة الكرواني الذي يعتبر آخر أتباع ابن عربي في اليمن خلال تلك المرحلة
وهو أ- د القادسيين إلى اليمن الذين أنوا منذ مدة مبكرة ولم يفصح أحد وأغلب
الظن أنه جاء قادماً من مدينة كرماني^(١) الواقعة في إيران كما يظهر من نسبت
إليها من ترجمته من الترجمة التي أتى منها وهو من العجم (الفرس) كما يشير إلى
ذلك شعر ابن المقرئ وقد حل معه من تلك الجهات^(٢) لوعة التصوف الفلسفي
الذي كان سائد في إيران ونواحيها ومن ترجمته من ذهب إلى أنه كان يعرف
فلسفة ابن سينا^(٣) وعندما نشر هذه الفلسفة في زبيد اصطدم مع شيوخها
الذين لم يكن لهم بها عهد^(٤) فغضب معهم نزاع إلا أنه استطاع بددوى

(١) كرماني مدينة في إيران قاعدة الإقليم الثامن حالياً مساحتها ١٦ ألف كلمتر وهي
مركز تجاري هام شهيرة بصناعة الانجبة الطيبة والصوفية والسجاد (النجدة في الاعلام
ص ١٣٣) .

(٢) نبع من تلك الجهات من الفلسفة جماعة من أشهرهم حميد الدين الكرواني الفيلاسوف
الاسماعيلي .

(٣) السطوي الضوء اللامع ج ١٠٠ .

(٤) وقد وقعت مثل هذه الحادثة قبل هذا التاريخ بنحو قرنين عندما جاء إلى اليمن الزكي
ابن الحسن البيلقاني ومعه شيء من علوم الفلسفة كالتنطق وغيره يقول بالمعزمية في وصف حادثته
تلك مع الفقهاء (كان أول وصوله إلى عدن لم يتعرض لتذكر الأصول (الفلسفية) والمنطق
ولأنما تظاهر بالراء كعب الفقه فقرأ عليه القاضي يومئذ وهو عماد بن أحمد المنسي (وجيز) =

التصوف أن يجذب إلى ناحيته شيوخ الصوفية الذين كان لهم نفوذ كبير وقد قرره
إليه الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ومن بعده خليفته أحمد الرداد
والمزاجي فكانوا سنداً له ضد هجمات الفقهاء عليه . وكما نود أن : نظفر
بمرجع يشرح فلسفته الإلهية أولاً اتنا لم نوفق في العثور على شيء من ذلك
وكل ما عثرنا عليه في هذا الصدد تنف منفرة جاءت على لسان خصومه من الفقهاء
وهؤلاء يجب أن لا نعتد بأقوالهم في معرفة فلسفة الكرواني لنحاملهم القديس
عليه حتى أنه يكاد تختفي كثر من الحقائق عن هذا الرجل .

وعلى كل فليس أمامنا سوى الرجوع إلى مصدر الفقهاء لعدم وجود ما يقوم
مقامها وسنجد من أبرز هؤلاء الفقهاء الذين تعرضوا لفلسفة الكرواني العلامة
ابن المقرئ الذي أطعن في الرد عليه ودعا إلى تكفيره بل إلى قتله كما سيتضح لنا
ذلك فيما بعد وقد أشار إلى متفرقات من فلسفته أثناء رده عليه من ذلك عرض
ابن المقرئ لرأي الكرواني في النبوة وأن موسى كان عجولاً بخلاف فرعون
الذي يطلب عليه الحلم والآنفة بقول^(١) .

== الفزالي ثم لما وجد عند السلطان أقبال عليه أظهر فلسفته وأفراء المنطق فأنكر عليه القاضي
المذكر ولأن النائب على فقهاء اليمن عدم الاشتغال بالمنطق خاصة ثم أن القاضي المنسي حمر
البيلقاني ونابذه واستطار الشقاق بينهما ولم تطلب نفس القاضي بتدريس ابن البيلقاني في
المدرسة النصرية فسعى إلى إخراجها منها وقال للسلطان التصور هذا رجل جاء بشيء
لا يعتنقه أهل اليمن ولا يعرفونه وإذا سمعوه أنكروه ونسبوا صاحبه إلى الخروج من الدين
(أظهر تاريخ نشر عدد ج ٢ ص ٨٠) .

(١) هبوان ابن المقرئ ص ٣٩ .

(مصادرة الكرمانى)

وإذا كنا قد عرضنا لفلسفة الكرمانى - كما نقلها ابن المقرئ - فما علينا الآن إلا أن نقضى نظرة على النزاع فى مرحلة الأخيرة وسنجد قد انحصرت نظائره فى شخصين هما الكرمانى السابق الذكر - من جانب الصوفية - وابن المقرئ - من جانب الفقهاء - ولم نعد نسمع غير صوت هذين الرجلين .

وقد كان ابن الكرمانى قد عقد - بموت صديقه المزجاجى أكبر مدافع عنه وأصبح فى موقف لا يحسد عليه حيث لم يعد هناك من يحميه الحماية الكفافية ضد تحرشات خصومه من الفقهاء باستثناء بعض الشخصيات البسيطة ذات النفوذ المحدود ومن أبرزهم الأمير شمس الدين على بن الحسام بن لاغين^(١) والفقهاء يحيى ابن روبرك وهؤلاء سينعدم تأثيرهما عند ما يقوم ابن المقرئ بمهمة الجديدة على الكرمانى .

قد نجح ابن المقرئ هذه المرة فى التأثير على الملك المنصور بشأن الكرمانى واستطاع أن يدفعه فى القيام بعمل معاد حيث نهد المنصور قد أرسل جماعة من جنده للهجوم على منزل الكرمانى ومصادرة ممتلكاته وكان يزعم فى إعدامه لولا تدخل أحد الأمراء فى قضيته فاطلقه بصفاعة هذا الأمر على أن يخادر مدينة زيد فذهب إلى مدينته بيت الفقيه مستجيراً بشيوخها بنى هجيل .

ولم تضى سوى مرة قصيرة على الحادثة حتى يتوجه الكرمانى إلى تمر ومنا يكون له ابن المقرئ بالمرصاد فيظهر عليه الفقهاء تمهيداً للقيام بعمل آخر حده وقد صاغ ابن المقرئ صورة استفسار موجه إلى الفقهاء يذهب فيه إلى أن ابن الكرمانى قد خرج من الدين وأراح حكمه هو حكم المرتد ثم طلب من الفقهاء الإجابة عليه فما كان منهم إلا أن كتبوا بالإيجاب وذهبوا فيها كتبهم مذهب

(١) ديوان ابن المقرئ ص ٢٨ .

وحقرته من عداقة قدره وحظن ما حرقه من قدره
كقولكم بوسو محمول ووصكم
كما عاب عن إراميه صدقة رؤيا يذبح إسماعيل وأنكروا عليه
اتباع رؤيا بل أنه خرج من هذا تقول إلى نفى صدق رؤيا الأبياء جميعهم
بما فهم فتناً محمد صلى الله عليه وسلم :

ورؤيا الخليل الذبح قلته ينبغي لرؤياه تأويل ولكن لم تدرك
وقلتهم تمام فى تمام لكل ما آتى من رسول الله والهى والأمر^(١)
أما رأى الكرمانى فى الألوهية فهو يذهب فيه إلى أن الألوهية والعبودية
كثاماً محتاجة إلى بعضهما ببعض وأن الله سبحانه لا يستغنى عن عباده وهو
محتاج إليهم بالطبع^(٢) .

وقلتهم بأن الله جل جلاله على حال محتاج إلى الخلق مضطر^(٣)
وإذا كان ذلك معتق الكرمانى فلا فرق عنده بين عبادة الله وعبادة الصنم
وشبهه بالخلق جهلاً وقلتم عبادة مثل العبادة الصخر^(٤)
وفى النهاية بنى ابن المقرئ على خصمه أنه فى الناس فلسفة الإلحادية وتنسوى
مقائدهم :

قلتم وأوجعت القورى فى إلههم بما لا يطيق المرء فيه على الصبر^(٥)
ثم يقول له إنى لم أعادىك لشخصك وإنما لما جئت به من عقائد فاسدة فى مسألة
البارى والأنبيا .

مواقف ما عرفت بغيا ولا هواً ولا فى سوى البارى ومرسله الطير^(٦)

(١) المصدر السابق والصفحة

(٢) المصدر السابق (نفس الصفحة) .

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) . ديوان ابن المقرئ .

ابن المقرئ من خروج الكرمانى عن جادة الشريعة وكان من بين المجبيين - كما يقول ابن الأهدل - الفقيه الكامل والمفتي قاسم الدين وصافى. في هذه الأثناء وجود السلامة الاسلامى الكبير محمد بن محمد الجزرى في اليمن قادمًا (١) من مكة فكتب حول - قال ابن المقرئ فتوى تذهب مذهب الفقهاء (٢) ثم إنها عرضت على سائر علماء اليمن ومن بينهم ابن الأهدل الذى يقول راوياً عن نفسه (ثم حكى الجوابات إلينا إلى قرية أبيات حسين فكتب عليها بحجاب أبلغ من الجواب الأول الذى كتبه في أول الفتنة) (٣) ، (٤) وهكذا تجمعت حصيلة رافدة من الفتاوى كلها تجمع على كفر الكرمانى ومن ينتمى إلى مذهب ابن عربى ثم ثم ان هذه الفتاوى عرضت على الملك المنصور فأقر بما فيها وأمر باحضار الكرمانى لمحاكمته (٥) .

وقد اشار إلى هذه المحاكمة ابن الأهدل الذى يقول في وصف ما شاهده (فاستعرض ابن الكرمانى إلى مجلس الشرع الشريف فاعلم التوبة والرجوع إلى الدين الإسلام) (٦) .

ثم ان الفقهاء اشترطوا عليه بعد اعلان توبته ان يهجر كتب ابن عربى (٧) وان يكتب في ذلك صكاً يكون حجة عليه (وكتب بذلك مسطوراً قرئ على منبر

(١) قدم الجزرى إلى اليمن في سنة ٨٢٨ هـ .

(٢) انظر هذه الفتوى في المصنف الخامس باللاحق .

(٣) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٧٢

(٤) انظر هذه الفتوى في المصنف باللاحق . وقد حذفتها بعد تضييق الكتاب واستشجتها في طبعة قائمة أثناء الطباعة .

(٥) الأهدل : نسخة الزمن مخطوط

(٦) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٧٢ .

(٧) الأهدل : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

الجامع بربيد على لسان خطيبها موسى الضجاعي وقرأ أيضاً على منبر المهيم (١) ولم ينتس الأمر عند هذا الحد فقد أمر المنصور بنفيه إلى جبران فظل محتجباً بها طيلة حكمه حتى وفاته سنة ٨٣٠ هـ وهذه المحاكمة العامة استناد الفقهاء بسلطانهم على الموقف من جديد ولم يعد هناك من يتابعهم بالنفى والتكيل أما الصوفية فقد انعكس الحال عليهم وأخذوا يتخفون بتعاليمهم خشية من الفقهاء كما يقول ابن المقرئ في قصيدة يصور فيها حالة الصوفية في تلك الفترة (٢) .

إذا شرعوا في الاعتقاد تخافتوا تخافت سراق على الحرز تنقب
من الذل حتى يحسبوا كل صيحة عليهم فتلقى المرء في الأمن برغب

في عهد الناصر الثاني

الان هذه السيطرة لم تدم طويلاً للفقهاء إذ سرعان ما توفي الملك المنصور فتخلفه في الحكم شاب صغير لا يتجاوز سنه الثانية عشر وهو الملك الاشرف اسماعيل ابن أحمد فيكثر (الاختلاف والفساد في عصره) (٣) فلم يلبث في الحكم سوا شهر قلائل ثم قبض عليه العسكر في مدينة تمر وخلعوه في نفس السنة التي تولى الحكم فيها .

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الملك في الحكم فقد اهتم الكرمانى فرصة وجود (الفوضى) بالمدينة فدخّل زبيد متسللاً (٤) وهناك قابل الملك المنصور

(١) المصدر السابق ص ٢٢٢ . ويقول (وهذا السطور محفوظ عند جماعة من الفقهاء فليقف عليه من اراد ذلك) .

(٢) ديوان ابن المقرئ ص ٤٨ .

(٣) غايه الامالى ص ٦٧ .

(٤) يقول ابن الأهدل حول دخول الكرمانى زبيد في هذه المرة (أنه راسل بعض اصحابه زبيد فأقنه (انظر نسخة الزمن مخطوط) .

واستطاع ان يؤثر عليه لصفه سنه وكانت الابهام التي قضاه المنصور في الحكم هي الابهام الذميه بالنسبة للكرمانى حيث وجد الحرية التامه في اعلان مذهبه الصوف والتدبد بتصرهم من العقاب بل انه اشتغل في هذه الفترة بتصنيف مؤلف في الرد على ابن المقرئ صرح فيه برجرعه إلى مذهبه الاول من القول بوحدة الوجود وجادة الاصنام وغير ذلك^(١) حتى ان ابن المقرئ لم يسمه إلا ان يضع رسالة صنفه في الرد عليه وقف عليها ابن الامدل وقال انها تقع في نحو عشر ورقات^(٢) ثم ان ابن المقرئ تابع رده عليه في عدة قصائد كقول في احداها مخاطباً الكرماني ومذكراً له توبته تحت رجة السيف :

الم استب والسيف ينتهى وقد دارنا عينك من شدة الادر
وكان ندا يوم عظيم ومشهد به العلماء قد اجمعوا وذووا الامر
وافترأ جميعاً ان قتلك واجب وتركك تنوى الناس من اعظم الوزر
ونوديت من فوق المناير كافراً على اروس الاشهاد بالمناطق الجهر
واسلمت خوف السيف كرماً فما الفنى : امنيت به حتى رجعت إلى الكفر^(٣)
ثم يلفت إلى الملك الصغير ويحاول ان يحمي في نفسه الترخه الدينيه بأن يقول
الكرمانى هل ظن ان لا ناصر لدين وهذا اسماعيل ليس له شغل سوى
الذبح عنه .

ظنك بان الدين لا ناصره فحنت لكي تهفى به غلة الصدر
كذبت واسماعيل ملائيباه فان كنت لا تدري فلا بد ان تدري

(١) الامدل : كشف النطاء ص ٢٢٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .
(٣) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ .

ملكك الجرايا والذي ليس همه سوى الذبح عن دين المهيم والناصر^(١)
ويبدو ان الكرماني استطاع ان يؤثر على الملك الاشرف بذكر ملكه الحسنه
مع والده الملك الناصر وكيف أنه ظل مؤبداً له ضد خصومه من الفقهاء عنا جهد
ابن المقرئ بعيد إلى ذهن الملك الطفل ان والده لم يمت الا بعد ان تبرأ من اتباع
مذهب ابن عربى فيقول^(٢) :

ومامات حق قد تبرأ منكم وافضاك عنه من جر الكلب عن حبر
ومات بمحمد الله احسن ميتة يموت عليها من ينعم في القبر
تبرأ مما قتلتموه جميعه بمحمد آله العالمين وبالذكر
على أنه يدترف ان الكرماني خدع الملك الناصر برعة من الزمن وهو الآن
يحاول خداع ابنه بتحييد مذهبه إليه^(٣) .

خدعت ابن اسماعيل أحد مرة وجرحته شوما أمر من الصبر
وجئت لاسماعيل بى خداعه ايلس سلطانان ويملك من جبر
ويحضى ابن المقرئ يذكر الابن بدووم الكرماني على والده وأنه كان سبياً
في هزائم كثيرة نزلت عليه^(٤) .

لقد كان سلطان البريه أحد إذا صال لم يدفع ببحر ولا بحر
تخلى له أهل الحصن حصونهم إذا امهم في موكباً لفتح والناصر
فسله نعمانا^(٥) وسائل كوابنا^(٦) ودمتا وأطراف البلاد إلى الشعر

(١) ، (٢) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ .
(٣) ، (٤) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ — ٤٠ .
(٥) لسان اسم لصدمة أما كن في اليمن انظر صفحة جزيره (ص ١٦) وكوابن اهل يمني
بها كيان .
(٦) الامدل : كشف النطاء ص ٢٢٣ .

إلى أن هوى شيطان كرمان بابه وما ضى أبواب العريضة بالمكر وأول شؤم للنيب بسده حديث الفواقى وهى إحدى عشرة الدهر ثم تال الموائم الكثيرة كسقوط زبيد وبائع وعدن وحصى تمر إلى غير ذلك وكله بسبب شؤم ابن الكرمانى كما يقول ابن المقرئ :
ومكذا وبأسلوب الأطفال بمحاول ابن المقرئ جامدا أن يبغض إليه ابن الكرمانى إلا أنه انتفع في نهاية الأمر بعدم جدوى — ما يقول له ابن المقرئ في قصائد زد على ذلك أن البلاد كانت تصعد زواج سياسة طاحنة تكون سببا في إزاحة الطفل عن الحكم دون أن تمر عليه سنة واحدة .

تولى الملك الظاهر واقتصار الفقهاء.

وقد روى المسكر بعده عم الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل الذى كان قابعا في سجون الأشرف لما كان من إلا أن قرب إليه ابن المقرئ وأزاح الكرمانى كنفيا إلى مدينة بيت النقيب^(١) وذلك منه مخالفة ظاهرة لسياسة الأشرف . على أن الكرمانى كان معقرا من قبل الفقهاء — كما يقول ابن الأمد^(٢) — فجاء تصريف الملك الظاهر تجاهه كترجمة فعلية لبعض الفقهاء له وقد اثنا عليه في هذا العمل ابن المقرئ بقوله .

ما كنت الاغارة الله ومن تطلب غارة الآله يدرك
أخرجته من مجلس العلم وقد دسه بماءه ياتفك^(٣)

ومكذا ابن الكرمانى في منفاه بيت النقيب نحو منه كان خلال يداب في نهر منجمه الصوف بين الآمال وقد بلغ أتباعه فيها إلى نحو خمسين شخصا كما نفهم

(١) الأمدل : المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٢) الأمدل : المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٣) ديوان ابن المقرئ ص

من أحصاء ابن المقرئ لم الذى يقول^(١) :

يرى على الحسنة قوم فرهم قد غدوا امسرا وكل بيت
واقام في بيت النقيب لما بقي لخيارهم بيت النقيب بقية

ثم أنه أراد الدخول إلى مدينة زبيد لحضور مجلس افطار الملك الظاهر بجانب العلماء وكبار الدولة^(٢) فيأتى ابن المقرئ ليقتل معارضا لطلب الكرمانى ويقول السلطان (كيف يصل أن يدخل هذا الكافر بين المسلمين) ثم أنه يشر قضية قديمة طالما رددها ابن المقرئ وهى مسألة عقيدة الكرمانى ونجده هنا يذكر السلطان بدهمه السابقة في قتل الكرمانى ويقول له لو انكم حررتم حقه في ذلك التاريخ لكفيتهم شره .

لو كنتم امس ضربتم حقه لوال من دين الآله وحك
ما فيه عند الآله ادخرت مثل دم الكرمان حين يسفك^(٣)
الا ان ابن المقرئ يعود في مخاطبة الظاهر ويقول له بإمكانك الان ان تستدرك هذا الأمر وتقدم على قتله^(٤)

والله ياخير الملوك انها عطية لكنها تستدرك
السيف في الكف وعندى العلماء يفتون ان منه لا يترك

ومكذا يثير ابن المقرئ قضية ابن الكرمانى من جديد فيدعوا إلى قتله وقد شاركه في هذه الدعوة جميع من الفقهاء يقول ابن الأمدل : (وجرى

(١) المصدر السابق ص

(٢) الأمدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق (مخطوط)

(٤) ، (٥) ديوان ابن المقرئ ص

في تلك غرض في مقام السلطان (١) فاستدعى إلى مدينة زييد وحقق الفقهاء
جلس خاص به خبروه فيه بين التوبة أو القتل بالسيف فاختار الأول وقد انطلقه
الشهادتين صديقة القديم (٢) أما ابن روبك فذهب معه في هذه
الأيام يدهرا إلى مناظر الرجلين ابن المقرئ والكرماني - ليدين أيهما على الحق
فيجيبه ابن المقرئ قائلا هل يستوى الإيمان والكفر ومع هذا فستكون النتيجة
في غير صالح صاحبه لو أن الملك الظاهر استجاب لطلب ابن روبك يقول
ابن المقرئ :

قال ابن روبك فافظروا ما بينكم وبين عندك من عليه العمدة
أترأى ظن الكفر كفوا للهدى فأراد يعرف أى قول أبيض
لو أن ملك العالمين إجابة نعم ابن روبك واعتبرته الخبيثة (٣)

ويبدو أن الوشائيات قد كثرت حول الكرماني في هذه الفترة ولم تعد
مصورة في المجال الديني إذ تعدته إلى جانب السياسة وانهم بموالاته لثائر
العباس بن إسماعيل الرسول أحد أفراد بيت الإمارة المطالبين بالحكم (٤) لما كان
من صاحبنا الكرماني إلا أن فرج بجلده سالما إلى جازان وظل بها مختفيا حتى
وفاته سنة ٥٨٤٩ هـ .

ويقول جامع ديوان ابن المقرئ أن ابن روبك شفع لابن الكرماني عند

(١) ابن الأعمش : تلكه الزمن مضبوط

(٢) المصدر السابق .

(٣) ديوان ابن المقرئ ص .

(٤) أشار إلى توريته للورث يحيى بن الحسين في غايه الاماني ص ٥٧٣ وقال أنها
حدثت سنة ٨٣٩ هـ أى بعد وفاة ابن المقرئ يستين ولكن يبدو أن هذه الثورة ليست هي
الأولى فقد سبقها عدة محاولات بدليل أن ابن المقرئ قد إدرك فرار الكرماني كما يستتبع
لأنها بعد .

السلطان وطلب منه أن يسمح له بمغادرة اليمن وقد كتب ابن المقرئ حول هذا
الطلب قصيدة ساخرا فيها منه ساندتها هنا كاملة لصلتها بالموضوع الذى ندرسه :

الفسخ بطلب منكم الكرماني ليحج أو ليسح في البلدان
قد كان صوفيا فليس بباطن في بلدة مع أهلها القطنان
بل راية التطواف من أرض إلى أرض ومن وطن إلى أوطان
ولو أنه يهوى الإقامة بأرضكم لأقام فيها في نعيم جنان
لكنه يخشى من الفقهاء ماء يخشاه كل طلا من الفرياس
فاذا رأى اليمن السعيد كجنة ألفى بها الفقهاء كالنيران
وجميعه منهم أضرب عليه من حر الحميم ومن حميم أن
ومن أدهى منهم له حبا فما هو غير حب الحر للفران
وأولوا التفقه ليس يبرح عندهم لأولى التصوف أعظم لفتان
فتان مختلفتان جدا هذه مثل الضباب وتلك كالتيهان
يحمى وطيس الحرب بينهما ولا طعن ولا ضرب ينجر لسان
كل مكفر خصمه وبراء من حزب الضلال ووزمة الشيطان
فترى الفقيه يرد للصوف أن يفنى وكل غير ربي فاني
ماحبر إسماعيل يقضى غير أن يغدوا الذبيح محمد الكرماني
كم رد إسحاق له أو ذبحه يدي عدد شاني
مازال يسمى جامدا في قتله لا وائيا منه ولا متوان
ويهر الأشعار فيه محرضا فيها عليه لكل ذى سلطان
ويذب أقوالا تبليغ سواريا منه إلى الأمراء والفلان
ما هنا السلطان إلا بالهجاء فحمد ذلك الضمير العاني
كم قال فيه أهاجيا وآتى بها مدحا لكل خليفة ونهائي
كم هصب الفقهاء عليه مبالغا في ذاك ذا جد وذا معان

في دولة النصور كان إباده
قد كان شب عليه أعظم وفدة
كانت لعمري وفدة مفضولة
كادت تنهب بحرهما أرواحنا
كم حرفت من صوف صوف ومل
قد كان إسماعيل مسرهما ولم
لكن وقاه الله عز جل جلاله
والآن جدت هزيمته على
هربا من القوم الأول يسمون في
فامتن له بالفصح باملك الوري
وإذا ن له بالسهر ينجر به
من وقع كل مهتد وستان

مراجع الكتاب

تقتصر هنا على أم المراجع التي رجعنا إليها في تأليف هذا الكتاب . وقد
حذفنا لفظه . . أبو وابن من هذا الترتيب .

(١) الأسنوى :

طبقات الشافعية طبع بغداد سنة ١٩٧٠ بتحقيق عبد الله
الجبوري .

(٢) ابن الأمير : محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ١١٨٢ هـ .

ديوان ابن الأمير طبع في مصر سنة ١٩٦٤ م .

(٣) أمينة أحمد

ضمي الاسلام طبع في مصر سنة

فجر الاسلام طبع في مصر سنة

(٤) الأهدل : عبد الرحمن بن حسين الأهدل المتوفى سنة ٨٥٥

: تحفة الزمن بذكر سادات اليمن . مخطوط . .

: كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وحقائق الموحدين وذکر

الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال

ابن عربي واتباعه المارقين . طبع في تونس سنة ١٩٦٤

بتحقيق الدكتور أحمد بكير .

(٥) الأهدل : عبد الرحمن بن سليمان . المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ .

النفس اليماني في أجازة القضاة بني الشراكاني . مخطوط .

- (١٥) الحامدي : صالح بن علي المتوفى سنة ١٣٨٧
تاريخ حضر موت طبع جده سنة ١٩٦٧ م
- (١٦) الحبشي : أحمد بن زين المتوفى في سنة ١١٤٥
شرح العينية طبع دمشق سنة ١٣٩٣ هـ
- (١٧) الحبشي : عبد روس بن عمر المتوفى سنة ١٣١٤
هقوق اللال باسايد الرجال طبع مصر سنة ١٩٦١
- (١٨) ابن حجر المسقلاني : أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٦
أبناء القمر بانبا العمر طبع مصر سنة ١٩٧١
- (١٩) الحضرمي : عبد الرحمن و معاصر
جامعة الأشاعر طبع صنعاء سنة ١٩٧٤
- (٢٠) الخورجي : علي بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢ هـ
المقود المولوية في تاريخ الدولة الرسولية طبع مصر
سنة ١٩١١ هـ طراز أعلام الزمن يذكر أعلام اليمن
و منخطوط .
- (٢١) الذهبي : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٧٤٨
العبر في خبر من غير طبع الكويت ١٩٦٠ م
- (٢٢) ابن أبي الرجال : أحمد بن صالح المتوفى سنة ١٠٩٢
مطلع البدور و مجمع البحور و منخطوط .
- (٢٣) زباره : محمد بن يحيى المتوفى سنة ١٣٨٠
ائمة اليمن في القرن الرابع عشر طبع مصر سنة ١٣٧٥
نشر العرف لبلاء اليمن بعد الألف طبع مصر سنة ١٣٧٦
- (٢٤) الزبيدي : محمد المرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥

- (٦) باخرمة : عبد الله و الطيب ، باخرمة المتوفى سنة ٩٤٧ هـ
تاريخ نجر عدن . طبع لندن سنة ١٩٣٦ .
- (٧) باوزير : سعيد بن عوض و معاصر
الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي . طبع مصر سنة ١٩٦١ هـ
- (٨) البريبي : من علماء التاسع الهجري
تاريخ علماء اليمن و منخطوط .
- (٩) ابن بيران : محمد بن يحيى المتوفى سنة ٩٥٧
الكشف البيان عن حال منصوفة الزمان و منخطوط .
- (١٠) البيهقي : محمد بن سالم المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ
أشعة الأنوار على مرويات الأخبار . طبع مصر سنة ١٣٩٣
- (١١) الجندي : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٣٢
السلوك في طبقات العلماء والملوك و منخطوط .
- (١٢) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧
صفة الصفوة . طبع الهند ١٣٨٩
تليس إبليس . طبع بيروت
- (١٣) الجبلاني : عبد الكريم بن إبراهيم و من علماء القرن التاسع
الانسان الكامل في معرفة الأوافر والأوائل . طبع القاهرة
سنة ١٣٨٣ .
- (١٤) الرازي : أحمد بن عبد الله المتوفى بعد سنة ٤٦٠
تاريخ صنعاء . طبع دمشق ١٩٧٤ بتحقيق الأستاذ حسن
المصري .
- (١٥) حاجي خليفة : كشف القنون عن أسامي الكتب والفنون طبع تركيا
سنة ١٩٤١ .

- تاج العروس شرح القاموس طبع مصر سنة ١٣٠٧
اللمعة القدوسية بواسطة البعثة العبدوسية و منخطوط ،
(٢٥) زوزور . عدنان و معاصر ،
الحاكم الجعفي طبع بيروت
(٢٦) الذركلي : خير الدين و معاصر ،
الاسلام طبع مصر سنة ١٩٥٧ وما بعدها
(٢٧) زكي مبارك المتوفى سنة ١٩٥٢ م
التصوف الاسلامي طبع مصر سنة ١٩٣٨ م
(٢٨) لبكي : عبد الوهاب بن علي المتوفى سنة ٧٧١ هـ
طبقات الشافعية طبع مصر سنة ١٣٢٤ هـ
(٢٩) السخاوي : شمس الدين محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٠٢ هـ
الضوء اللامع لاهبان القرن التاسع طبع مصر سنة ١٣٥٢
(٣٠) السقايف : علي بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٩٥ هـ
الرقعة المشقة في ذكر الحرفة الانيقة وشيوخ الطريقة طبع
مصر سنة ١٣٤٧
(٣١) ابن عمره : عمر بن علي المتوفى سنة ٥٨٦ هـ
طبقات فقهاء اليمن طبع مصر سنة ١٩٥٧ م بتحقيق الاستاذ
عزاد سيد
(٣٢) الشاطري : محمد بن أحمد و معاصر ،
ادوار التاريخ الحضري نشر جده سنة ١٩٦٢ و ١٩٧٢
(٣٣) الشرحي : أحمد بن أحمد بن عبد العلي المتوفى في سنة ٨٩٣ هـ
طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص . وقد رمز له
بالخواص طبع في مصر سنة ١٢٢١ هـ

- (٣٤) القل محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٠٩٣ هـ
: المخرج الروي في مناقب السادة بن علي طبع مصر سنة ١٣١٩
(٣٥) الشوكاني : محمد بن علي المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ
اليد الطالع الحسن من بعد القرن السابع طبع مصر سنة ١٣٤٧
(٣٦) صافي حسن و معاصر ،
الادب الصوفي في القرن السابع بمصر طبع مصر سنة ١٩٦٤
(٣٧) العامري : يحيى بن أبي بكر الحرطي المتوفى سنة ٨٩٣ هـ
غربال الزمان المفتوح بسيرة سيد ولد عدنان و منخطوط ،
(٣٨) ابن عربي : عبيد الدين محمد بن علي المتوفى سنة
الفتوحات المكية طبع مصر سنة ١٢٩٣ هـ
فصوص الحسك طبع في مصر سنة ١٩٤٦ هـ
(٣٩) عز الدين بن الحسن الإمام المتوفى سنة ٩٠٠ هـ
كنز الرشاد و زاد المطاد طبع مصر سنة ١٣٤٦ هـ
(٤٠) حمارة بن علي بن زيدان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ
المفيد في اخبار صنعاء وزيد طبع مصر سنة ١٩٦٥ هـ
(٤١) العمري : شهاب الدين المتوفى سنة ٧٤٩ هـ
مسالك الابصار في ممالك الاسلام فصله مستلة بتحقيق ابن السيد
طبع القاهرة سنة ١٩٧٤ هـ
(٤٢) العقيلي : محمد بن أحمد و معاصر ،
من تاريخ الخلفاء السلجاني طبع القاهرة سنة ١٩٥٨ هـ
التصوف في نهضة جده سنة ١٩٦٤ م
(٤٣) علي بن نور الدين المكي و للقرن الثاني هجر ،
نزعة الجليل و منه الادب بالانيس طبع القاهرة سنة ١٢٩٣ هـ
(٤٤) العبدوس : أبو بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٩١٤ هـ

الجزء الطيف في التحكيم العريف طبع القاهرة سنة ١٣٥٥

ديوان حجة السالك وصحة السالك طبع القاهرة سنة ١٣٥٥

(٤٥) البندروس : عبد القادر بن شيخ المتوفى سنة ١٠٣٨

نور السافر في اخبار القرن العاشر طبع بغداد سنة ١٩٣٤

(٤٦) البندروسى : عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ١١١٢

ابناس الصغرى بأفلاس النهرو منطوط .

(٤٧) القرباني : إسماعيل بن مهدي ، معاصر .

نفس الرضى فيما لاحباب الله من طو الشأن طبع عدن

سنة ١٣٨٠

(٤٨) الفاسى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٨٢٢

المقد البنى في تاريخ البلد الامين طبع القاهرة سنة ١٩٦٣

بتحقيق الاستاذ سيد

(٤٩) القارى : المرشد إبراهيم بن عبد الله ، القرن التاسع ،

الدر البنى في مناقب الشيخ محي الدين طبع بيروت سنة ١٩٥٩

بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٥٠) القفاسى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧١

السط المجد طبع الهند سنة ١٩٠٩

(٥١) ماسنيون : حياء الحلاج بعد موته بحجة المورد الرافية العدد ٣ سنة ١٣٩٢

(٥٢) من : آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع طبع بيروت سنة ١٣٨٧

(٥٣) الهبى : محمد أمين المتوفى سنة ١١١

خلاصة الامر في اعيان القرن الحادى عشر طبع مصر ١٢٨٤

(٥٤) المزجاجى : محمد بن محمد بن ابي القاسم المتوفى سنة ٨٢٩

هداية السالك إلى احدى المسالك ، منطوط .

(٥٥) المرى : أحمد بن عبد الله بن سليمان المتوفى سنة ٤٤٧

رسالة الغفران طبع بيروت

(٥٦) المطلى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٧٨

ترويح الارقات في المقامرة بين القهوة والقات طبع القاهرة

سنة ١٩٧٥

(٥٧) المقبل : صالح بن مهدي المتوفى سنة ١١٠٨

العلم العامخ في أبناء الحق على الأبا والمفائخ طبع القاهرة

سنة ١٢٢٨ (٥٨) ابن المقرئ : إسماعيل بن أبي بكر المتوفى

سنة ٨٣٧

مجموع القاضي أبي الذبيح إسماعيل بن أبي بكر المقرئ

طبع الهند سنة ١٣٠٥

(٥٩) ابن المهدى : يحيى ، من علماء القرن الثامن ،

صلة الاخرن في حلية بركة أهل الزمن ، منطوط .

(٦٠) أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠

حليه الاولياء وطبقات الاصفيا طبع القاهرة سنة ١٩٣٣

(٦١) النعمى : حسين بن مهدي المتوفى سنة ١١٨٧

معارج الالباب طبع القاهرة سنة ١٣٧٠

(٦٢) النهى وإلى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٨٨

البرق اليماني في الفتح العثماني طبع بيروت بتحقيق

الشيخ حمد الجاسر سنة ١٩٦٧

(٦٣) الهدار : العلامة عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ١٣٩٦

الجواهر في مناقب للشيخ ابي بكر تاج الاكابر طبع القاهرة

سنة ١٣٩١

محتويات الكتاب

- (٦٤) الواحى : عهد الواحى المتوفى سنة ١٢٧٩
 قرعة الهموم والخون في تاريخ اليمن طبع القاهرة سنة ١٩٤٧م
 (٦٥) رطبوط : المعلم (من علماء القرن التاسع)
 تاريخ المعلم وطبوطه منطوطه
 (٦٦) الباقى : عهد الله بن اسعد المتوفى سنة ٧٦٨
 مرآة الخندان وعبدة البقطان في معرفة حوادث الزمان
 طبع الهند سنة ١٢٣٧
 روض الرباعين في حكايات الصالحين طبع القاهرة
 (٦٧) يحيى بن الامام القائم بن محمد المتوفى سنة ١١٠٠
 : غاية الاماني في اخبار القطر اليماني طبع القاهرة سنة ١٩٦٧
 بهجة الزمن ذيل انباء الزمن منطوطه
 (٦٨) يحيى بن حمزه : الإمام المتوفى سنة ٧٤٧
 تصفية القلوب عن الاوزار والدنوب منطوطه

الصفحة	الموضوع
٩	تاريخ التصوف من خلال اعلامه
١٢	في القرن الخامس
١٢	في القرن السادس
١٣	في القرن السابع
١٦	في القرن الثامن
١٨	في القرن التاسع
١٩	في القرن العاشر
٢٠	في القرون الاخيرة
٢١	التصوف في تمامه
٢١	التصوف في الجبال
٢٢	التصوف في حضرموت
٢٤	شعائر الصوفية
٣١	السماع عند صوفية اليمن
٣٩	مقروط التصوف
٤٠	تاريخ التصوف الحياسى
٤١	تاريخ التصوفية في عهد بنى امية
٤٥	تاريخ التصوف في بنى رسول
٤٦	في عهد الملك المظفر

٤٨	في عهد المجاهد
٤٩	في عهد الأفضل الأحرار القاصر
٥١	الصوفية والحكم العثماني
٥٣	الأئمة والصوفية
٥٩	الصوفية والدولة العثمانية
٦٧	مدرسة ابن عربي في التصوف اليمني
٧٠	مدرسة ابن عربي في اليمن
٧٧	اتباع ابن عربي في القرن التاسع
٨٣	الفرق بين الفقهاء والصوفية اليمن
١٠٩	أحداث النزاع التاريخية
١١١	للمرحلة الأولى
١١٧	المرحلة الثانية
١١٩	مراحل النزاع الأخيرة
١٤٢	محنة الفقهاء
١٥٤	موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء
١٥٩	إصدار الكرماني
١٦٤	مولي الملك الظاهر وانتصار الفقهاء
١٦٩	مراجع الكتاب

الحفظ والصواب

صواب	خطأ	صفحة
الروائي	الوارثي	٢٦
المشيخة	البينة	٢٧
عمومهم	عمومة	٢٩
نوع من العمومة	نوع العمومة	٤٠
حاكا سلباً	حاكم السلب	٥٠
يحمي	يحيى	٥٦
أن	ابن	٧١
وربما	وبما	٧٤
بثوا	بثو	٨٠
ولمهمهم	اياس وغيرهم	٩٤
المعماني	المعمواني	٩٦
المكلفين	المتكلفين	٩٧
الصوفية	الفقهاء	٩٨
سابق	لاحق	١١٩
لا وجود لها	وقفت	١٢٧
يستزى	يستزى	١٤١
تكفر	تكفر	١٤٣
المساع	المساع	١٤٤

رقم الابداع بدار الكتب
م ١٩٧٦ / ٣٧٨٤

صفحة	خط	صواب
١٤٨	مجازة	مجازة
١٤٨	لا أصل له	هـ
١٤٩	ما بين	ما بين
١٤٩	فان من هذا كله	فان هناك رجال تحمل بهم المشكلات يستطيعون فهم ما يقصده ابن عربي وغيره لك من هذا كله
١٤٨	وتقوى	وتقوى
١٥٩	الرمكانى	الكرمانى
١٦٢	الادب	الادب
١٦٣	الحسن	الحسن
١٦٤	وعاش	وعاش
١٦٥	ومضى	ومضى
١٦٦	اب	ومضى
١٦٦	الى منظر	الى منظر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

